كتب الجيب 3

مسرحيات أنطون تشيخف

ذات الفصل الواحد (الفودفيل)

الجزء الأول

ترجمة
د. نادية إمام سلطان

مراجعة
د. محمد عباس محمد

دار نشر
أنباء روسيا
Russian News
www.russiannewsar.com

obeikan.com

الناشر

أنباء روسيا
Russia News
russiannewsar.com

www.russiannewsar.com

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. حسين الشافعى

secertary_ert@yahoo.com

المراسلات

القاهرة – مدينة العبور

44971 مكتب بريد جمعية أحمد عرابي - ص. ب. 72

Tel. & Fax: + (202) 24698170 & 071

+ (20) 01006774027

الإخراج الفني/ أحمد عثمان

أسرة التحرير / منى فرج- شيماء محمد

الطباعة

دار الطباعة المتميزة

مدينة العبور – القاهرة

Tel. & Fax: + (202) 44789644 & 46

الطبعة الأولى 2015

الطبعة الثانية 2017

(دار نشر أنباء روسيا)

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر.

لا يحق إعادة طبع أو نسخ محتويات هذا الكتاب إلكترونياً أو ضوئياً دونما إذن

رقم الإيداع

16647/2015

بالتعاون مع

المؤسسة المصرية الروسية للثقافة و العلوم

Египетско-российский Фонд культуры и наук

www.a_rfcs.org

obeikandi.com

مسـرحيـات أنطون تشيخف

ذات الفصل الواحد

(الفودفيل)

ترجمة
د. نادية إمام سلطان

مراجعة
د. محمد عباس محمد

أنباء روسيا
Russian News
www.russiannewsar.com

obeikan.com

obeikan.com

مقدمـــــة

المسرحية ذات الفصل الواحد
فن الفودفيل فى الأدب الروسى

يعد أنطون تشيخف[1] الأديب الروسى والذى ولد عام ١٨٦٠، ورحل عن عالمنا ١٩٠٤، رائداً ومبدعاً لفن القصة القصيرة ، وأستاذاً للمسرحيات التقليدية ، فهو فنان الدراما الواقعية ، حتى «... أصبح الوحيد الذى يحتل المرتبة الثانية بعد شكسبير Shakespeare من حيث الشهرة ، وتكرار عروض نصوصه»[2]. فلم يفتح آفاقاً جديدة لفن الدراما فحسب ، وإنما أيضا لفن (المسرحيات ذات الفصل الواحد) ، والذى يُعرف بفن "الفودفيل"، "فقد عُرف فى البداية مؤلفًا مسرحيًا ماهرًا للفودفيل"[3].

ورغم أنه لم يعش أكثر من أربعة وأربعين عامًا ، وأن طريقه الإبداعى استمر ما يقرب من خمسة وعشرين عامًا ، إلا أن مؤلفاته الأدبية جاءت كنهر فياض يموج من خلاله العديد من القضايا الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية والفلسفية والدينية والجمالية ، ويتلألأ فيه أبطال – بسطاء حقيقيون ، فنحن أمام كوكبة من شخصيات المجتمع الروسى من بينهم: الفلاحون البسطاء من أقصى شمال إلى أقصى جنوب أقاليم روسيا القيصرية ، ورجال الشرطة : الضباط والجنود ، والمولدة – (الداية) ، والممثلون، والخياطون ، والسجناء ، والطهاة، ونماذج من المتدينات – الراهبات ، والشمامسة ، والمطارنة ، والقساوسة ، والرهبان ،

1 ـ انظر بالتفصيل حياة الأديب أ. ب. تشيخف ، "أنطون تشيخف بعيون مصرية" (فى ذكرى مرور مائة وخمسين عامًا على ميلاده) القاهرة ، 2010.

2 ـ لورينس سينيليك ، "عروض مسرح تشيخوف . "قرن من العروض على خشبات مسارح العالم"، ترجمة : محمد رفعت يونس ، مراجعة : كمال الدين عيد، المركز القومى للترجمة ، القاهرة، 2010 ، ص 17.

3 ـ المرجع السابق ، ص 163.

وخادمو الدير ، والمرتلون فى كورال الكنيسة ، ولاعبو السيرك ، والإقطاعيون ، والموظفون من مختلف درجات السلم الوظيفى التى وصلت إلى أربع عشرة درجة ، والخولى ، والجنرالات، والمحامون ، والمهندسون ، وسارقو الخيل ، والتجار ، والخاطبة ، وعازفو البيانو ، ورجال المطافئ، ومحققو القضاء ، والمدرسون، وأساتذة الجامعة ، والطلاب ، ورعاة الأغنام ، والخدم، والحمالون ، والباعة، وسعاة البريد ، والأطفال ، والأطباء والعديد من أبناء طبقة النبلاء، وبانوراما رائعة لعديد من الشخصيات النسائية .... فمؤلفاته الأدبية مليئة ومزدحمة بنماذج من البشر لا تتسع ميدانًا واسعًا لاحتوائهم ، ولا يضاهيه فى هذا أحد من الكتاب المبدعين فى تاريخ الأدب الروسى ، ولا فى الأدب العالمى الحديث . ويؤكد الباحثون أن أنطون تشيخف كتب ما يقرب من تسعمائة قصة قصيرة هزلية خلال مشواره الفنى . وها هو الأديب يكتب رسالة بتاريخ ٢١ فبراير ١٨٨٦، إلى ألكسيى سيرجييفتش سوفورين (١٨٣٤ – ١٩١٢) يقول فيها : "إنى أكتب قليلاً نسبيًا ، ليس أكثر من ٢ـ٣ ثلاث قصص فى الأسبوع"[4]، وفى رسالة أخرى إلى «جريجورى إيفانفيتش روسوليمو»(١٨٦٠ – ١٩٢٨) يؤكد فيها بأن هذه المؤلفات : « كانت تنشر فى الصف الأول (يقصد الصف الأول بكلية الطب) فى المجلات الأسبوعية ، وبدأت الاشتغال بالأدب فى بداية الثمانينيات حيث أصبح لى طابع مهنى محترف ثابت . وفى عام ١٨٨٨ حصلت على جائزة (بوشكن)[5] ... ذلك إلى جانب كتابة تقارير الطب الشرعى ومقالات نقدية وأخرى ساخرة وخواطر قصيرة نقدية والتى كانت تنشر بين يوم وآخر فى الصحف... كتبت أكثر من ثلاثمائة ملزمة مطبعية تتضمن قصص وقصص قصيرة خلال عشرين عاماً من مشوارى الأدبى بالإضافة إلى كتابة المسرحيات الأدبية »[6] .

4 ـ ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1964 ، المجلد الثانى عشر، ص 73 . (باللغة الروسية)

5 ـ جائزة بوشكن للمؤلفات الأدبية الرفيعة فى مجال النثر والشعر باللغة الروسية ، كانت قد تأسست عام 1881 ، من قبل أكاديمية بطرسبورج .

6 ـ ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1964 ، المجلد الثانى عشر، ص 323 . (باللغة الروسية)

أضف إلى ذلك بما أنه كان طبيبًا استطاع أن يتصل بشرائحَ متعددةٍ من المجتمع الروسى من القمة إلى القاع ، فاستطاع بقلم الفنان المرهف ، وبحس الطبيب البارع ، وبقلب إنسان ينبض بالحب والعدل والحرية رسم صورًا حية واقعية لمعاصريه بكل ما لديهم من آلام وآمال ، من قهر وانتصار ، من بغض وتسامح ، من حزن وفرح ، من كره وحب. وكان من بين سماته الأصيلة أنه يقف ضد ظلم ومهانة وابتذال الضعفاء ، وقوة وغرور واستبداد الأقوياء ، ويكره الفظاظة والجهل ، ودائمًا يدعو إلى الخير ، والحق، والجمال، فهو يعيش فى الحقيقة ، فكرس حياته للدفاع عن الكرامة الإنسانية ، والتغنى بجمال النفس البشرية التى وهبها الله للإنسان خليفته فى الأرض ... فالواقع الذى صوره جاء أروع من الخيال. وخلص إلى أن الجميع من أبناء المجتمع مذنبون : فالطغاة استبدوا وطغوا ولم يردهم ويصدهم أحدٌ عن طغيانهم ، والضعفاء ركعوا وأهينوا وأذلوا ولم يقولوا كلمة حق فى وجه سلطان جائر ، ولم يجرأوا أن ينطقوا بلفظة "لا" ويدافعوا عن حقوقهم ، وآخرون وقفوا عاجزين مكتوفي الأيدي دون أن يفعلوا شيئًا وتعاملوا مع الموقف بصورة سلبية – فالكل مذنب ولا يلوم أحد إلا نفسه .

غير أن مشوار أنطون تشيخف الحياتى والإبداعى لم يكن مفروشًا بالورود والأهازيج، بل مكتظًا بالأشواك والصعاب . ولد فى بيت صغير ، لم ينعم بطفولة سعيدة[7] ، أو تعليم يسير . فالمدرسة كانت تبعد كثيرًا عن المنزل ، والطريق المؤدى إليها كان وعرًا مظلمًا، فلم يمش فقط فى الوحل ، بل عند عبور الطريق كان عليه أن يقفز من حجر إلى آخر فيعتريه الخوفُ والفزع للغوص فى الطين . بدأ مشواره التعليمى فى مدرسة يونانية تابعة للكنيسة ، وكان الأطفال يُرغمون على حفظ الدروس عن ظهر قلب ، ذلك الأسلوب التعليمى الذى يؤدى إلى تبلد ذهن التلاميذ ، لأنه مبنى على الحفظ والتنفيذ ، دون تدبر وإعمال العقل والابتكار . وكان فيها أيضًا يتم ضربهم بالمسطرة ، ويجبرونهم على الركوع فى ركن من الفصل على ملح خشن . كانت مدينة تاجانروج التى ولد فيها تعج بالأجانب ومن بينهم اليونانيون ، الذين يمثل تعدادهم فى ذلك الوقت ما يقرب من ١٠٪ من سكان المدينة ، ومن بين أهداف الوالد بافل يجورفيتش تشيخف أن يلتحق الابن بمدرسة يونانية كى ينضم فى المستقبل إلى زُمرة اليونانيين الأثرياء . ولإيمان الوالد

7 ـ أنطون تشيخف ، بعيون مصرية (فى ذكرى مرور مائة وخمسين عامًا على ميلاده) ، القاهرة ، 2010 ، ص 38 – 41.

وثقته بالتعليم، أصرّ على تعليم أبنائه. فالتحق أنطون تشيخف «بالجيمنازيا»[8]- المدرسة الثانوية – والتى تحمل الآن اسم الأديب، وكانت قد تأسست عام ١٨٠٦، وعند الإنتهاء من الدراسة فيها كان لخريجيها حق الالتحاق بأية جامعة فى روسيا دون امتحان، أو السفر إلى الخارج لمواصلة الدراسة. كان هذا الطفل الصغير يذهب فى الخامسة صباحًا من كل يوم وحتى فى أيام الإجازات، مع إخوته، إلى الكنيسة للاشتراك فى كورال المرتلين بها، ثم يذهب إلى المدرسة من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الثالثة ظهراً.

وبعد المدرسة، وعندما يرخى الليل سدوله، وعلى ضوء شمعة باهت- يمسك التلميذ بأصابعه الصغيرة الريشة ويغمسها فى المحبرة ويبدأ فى استذكار دروسه المدرسية التى تستغرق أكثر من ثلاث ساعات إذ كانت تتطلب مجهوداً كبيراً، إلى جانب عمله فى دكان والده. ففى كثير من الأحيان كان الأب يطلب منه ذلك لمساعدته، مؤكداً أن العمل فى الدكان- مدرسة عملية للتعرف على الحياة، وبإمكانه مواصلة استذكار الدروس هناك. فيذهب إلى الدكان طاعة لوالده، والدمع يجول فى عينيه، ولا يستطيع أن يعترض. ففى الشتاء كان يسود الدكان جو قارس البرودة، ويقبع فيه البائع الصغير، ويقشعر بدنه من برودة الجو، ويتجمّد دمه فى عروقه أحيانًا وتزرق يداه فيحشرها فى كمه كى يشعر بالدفء، ويستذكر الدروس بشق الأنفس، خشية حصوله على درجات سيئة فيلحق به الأذى من جانب والده. أضف إلى ذلك أنّ الدكانَ تفوح فيه رائحة نفاذة للمواد الغذائية المليئة به مثل: زيت الزيتون، والسجق، والقهوة، والسكر والشاى، والفلفل، والشمع، والصابون، وكثير من الأعشاب الطبية ... إلخ، أما أقرانه فى فصل الصيف وأثناء الإجازة الصيفية- حيث سنوات الطفولة الذهبية السعيدة- يلعب الأطفال تحت أشعة الشمس الساطعة فى مرح وسعادة، وينعمون بصحة جيدة، أما هو فيشعر بالكآبة، يجلس حزينًا سجينًا بين جدران أربعة، مفصود اليد. تلك الفترة من حياته كان والده يقول له: «إن اللعب فى الشارع سيمزق الحذاء، كما أنه مضيعة للوقت، وضرب من التدليل»، فما كان له إلا الانصياع لأوامر الوالد.

8 - جيمنازيا: «Гимназия»: كلمة يونانية، وتعنى مدرسة التعليم الثانوى، يلتحق بها أبناء النبلاء والتجار، والكهنة، والموظفين، ويدرّس بها العديد من المواد: اللغة اللاتينية، واليونانية، الرياضة، العلوم الطبيعية، مادة الديانة المسيحية... إلخ

وتعد فترة الدراسة بالمدرسة الثانوية مرحلة مهمة فى حياة أنطون تشيخف استطاع خلالها إثبات ذاته ، وبكل إصرار واصل تعليمه ليصبح نافعا لخدمة الناس ، فخير الناس أنفعهم للناس ، وفى الوقت نفسه يحقق رسالته بكل جدارة فى الحياة. ومن بين الشخصيات- التى لها مكانة خاصة فى حياة أديب المستقبل فى هذه الآونة – فيودر بلاتونافيتش باكروفسكى (١٨٥٣ – ١٨٩٣) – مدرس الديانة المسيحية الذى ساعد الأسرة مرات عديدة ، عندما كانت تعانى من شظف الحياة وعثراتها المادية ، فكان يقنع مدير إدارة المدرسة بتأجيل سداد دفع المصروفات لأنطون وإخوته والاستماع إلى الدروس مؤقتا دون دفع المصروفات . والجدير بالذكر أن هذا المدرس هو الذى منح أنطون تشيخف الاسم المستعار «أنتوشا تشيخونتيى» (Антоша Чехонте) الذى استخدمه الأديب فيما بعد فى بداية مشواره الفنى الإبداعى . وعلى الرغم من أوقات الشدة التى كان يمر بها فلم يغق الأديب شيء عن مواصلة التعليم بمثابرة وحماس . تعزف أنطون على كل ما يدور حوله واهتم بقراءة العديد من المؤلفات الأدبية لكثير من الكتاب، وولع بالموسيقى ، والمسرح وأصبح من عشاقه ومن رواده . ففى الثالثة عشر من عمره شاهد العديد من الأعمال المسرحية ومن بين أهم المسرحيات التى يحبها ويفضلها: "هاملت" لوليم شكسبير ، و" المفتش العام" ن. ف. جوجل . وقد قام بالاشتراك مع أشقائه بتمثيل هذه المسرحية ، ولعب فيها دور رئيس المدينة . ويؤكد د. ماهر عسل أن "أنطون تشيخف" تمتع بموهبة التمثيل، ومنذ طفولته المبكرة وصباه كان " يلجأ عن غير وعى إلى روح الفكاهة ، يدفع بها عن نفسه كل ما يثير الحزن والكآبة، ولعله وإخوته كانوا يثأرون لأنفسهم من الحياة بالسخرية منها ، وكان أنطون الصغير بارعًا فى التمثيل ، بحيث يستطيع بسرعة خارقة أن يبدّل ملامحه وصوته فيتقمّص شخصية طبيب أسنان وراهب ومدرس عجوز واحدًا بعد الآخر ... ويحكى أن أنطون قد ذهب ذات يوم متنكرًا فى زى شحاذ إلى بيت عمه ، حاملاً ورقة يصف فيها حياته البائسة ، ولم يستطع العم أن يتعرف على ابن أخيه ، وتأثر تأثرا شديدًا بما كتبه أنطون فى تلك الورقة ، وتصدق عليه بالفعل ... ولعل هذا الحادث كان بمثابة ميلاده كمؤلف وممثل"[9] .

هكذا أصبح لديه انطباع جميل عن الحياة لكل ما هو طيب ولطيف ، وآخر قبيح ودميم لكل ما هو كذب وقبح ونفاق مزرى. وهذا ما يؤكده أنطون تشيخف عن ذكريات

9 - د. ماهر عسل ، مسرحيات عالمية ، القاهرة ، 1968 ، ص 5 .

الطفولة التى لا تمحى أبداً من ذاكرته فى رساله إلى شقيقه الأكبر ألكسندر : «أتوسل إليك أن تتذكر أن الاستبداد والكذب قد أضاعا شباب والدتك. الاستبداد والكذب أفسدا طفولتنا ، لدرجة أنهما يثيران الشعور بالاشمئزاز والخوف عند تذكرهما»[10]. هكذا تشكلت رؤية الأديب الخاصة بالعالم المحيط . وأصبحت فيما بعد محور العديد من مؤلفاته الأدبية . والجدير بالذكر أنه على الرغم من انتقال أنطون تشيخف إلى موسكو للالتحاق بجامعتها إلا أنه كان من وقت إلى آخر يتردد على مدينة تاجانروج – مسقط رأسه العزيز إلى قلبه . هذا المكان الملئ بثقافات مختلفة وموجات حضارية متنوعة ، يعد من أهم ينابيع وروافد المعرفة التاريخية والثقافية والاجتماعية والدينية ، لتكون المكون الأساسى لأفكاره ومشاعره وللغته الروسية الثرية ، التى وصفها فيما بعد الشاعر فلاديمر فلاديميرافيتش مايكوفسكى (١٨٩٣ – ١٩٣٠) بأنه "أحد ملوك اللغة".

هكذا نشأ وترعرع أنطون تشيخف فى مدينة تاجانروج ، ومرت سنوات طفولته ، ودراسته فى الجيمنازيا ، وعمله بائعاً فى دكان والده ، ومنشداً فى كورال الكنيسة، ومدرسًا يعطى دروسًا خصوصية لأبناء أثرياء الموظفين ، والتجار ، والكهنة ليكسب قوت يومه – كل هذا أصقل وهذب ونمق لغته ، وأصبح صاحب أجمل العبارات وأبلغها، والتى سارت فيما بعد من التعبيرات السائرة بين العامة والخاصة فى روسيا.

لم يكن طريقُ كاتب المستقبل سهلاً يسيرًا ، بل وعرًا صعبًا ، مُلبدًا بالغيوم . فموهبته أثارت الكثيرَ من الخلاف والجدل . فوقف بعض نقاد عصره حجر عثرة فى طريقه، فلم ينقدوا مؤلفاته الأدبية حسب منهج علمى يتسم بالموضوعية والإنصاف والدقة، لأنّ النقد الأدبى ، كما نرى ، يُعد أحد الأجناس الأدبية مثل الشعر ، والنثر، والدراما . وأن الناقد الأدبى مثله مثل الشاعر والأديب ، يكتب نقدًا إبداعيًا فنيًا . فالناقد عليه أن يقوم بتفسير وتأويل النص بدراسة الأفكار والمضامين ، وكذلك يشير إلى الجانبين الإيجابى ، أو السلبى ، وانطباعاته لجماليات النص والمحسنات البديعية للغة المستخدمة ، إلى جانب أن يضع فى الاعتبار أنه يربى التذوق الأدبى والفنى للقارئ ويعمل على تنمية وعيه ، فالكلمة بالنسبة للناقد تعد أداة إقناع ، كما تعد أعماله النقدية همزة الوصل بين

10 ـ خطاب أنطون تشيخف لأخيه أنطون فى مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1963 ، المجلد الحادى عشر ، ص 315 .

الأديب ومؤلفاته والجمهور. إلا أنه فى هذه المرحلة نجد أن بعض النقاد صاروا عكس التيار ، وضد المعايير المنطقية الموضوعية للنقد ، وعملوا فقط وفقًا للأهواء الشخصية، محدثين فقاعات هوائية كى يجذبوا إليهم الأنظار و يحققوا الشهرة لأنفسهم . فقد رددت بعض أقلام النقاد غير المنصفة نقدًا لاذعًا حادًا صبت فيه الاتهامات على أنطون تشيخف، ومؤلفاته الأدبية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كان من بينهم ألكسندر ميخيلافيتش سكابيتشييفسكى (١٨٣٨ ـ١٩١١)، ونيكلاى فيدرافيتش سومتسوف (١٨٥٤ – ١٩٢٢) ، و بيوتر بيوتروفيتش بيرتسوف (١٨٦٨ – ١٩٤٧)، فحكم أحدهم قدحًا وذمًا: بأن مؤلفات أنطون تشيخف تشبه صندوق عجائب الدنيا ، وتغيب عنها الأفكار والمضامين ... وذهب آخر: أن «حكاية مملة» (من مذكرات رجل عجوز) (١٨٨٩) ما هى إلا دمية ضعيفة ... وأكد ثالث: أنه لا يعد كاتباً كوميديًا ساخرًا لأن هذا يفوق موهبته وقدراته والمهارات الفنية التى يمتلكها ، فهى ضيقة الأفق ومحدودة الأفكار ، فكان عليه أن يكون أكثر قربًا من الناس ومن الحياة...

بل أكثر من هذا وصفه وصوره بعضهم بأنه «ضعيف الإرادة»، «سلبى»، «ساذج»، «خامل» ، «ذابل» ، «واهن» ، «فقير الدم» ، «شاحب» ، «فاتر» ، «بطئ الحركة»، «متراخ» ، «متشائم» .... فنرى أن الأمر اختلط عليهم ، فهذه السمات يمكن أن تكون وصفًا للحالة الصحية فى الشهور الأخيرة قبل وفاته ، فقد نال منه مرض السل وأصابه بالضعف والوهن والسعال إلا أنه لم يستكن ويستسلم للمرض، بل واجهه بإرادة وعزيمة، وبشجاعة وصبر، ولم تفارقه الحيوية المرحة والفكاهة المضحكة حتى نهاية حياته . كما سارع بعض النقاد لينالوا منه بتشبيهه بآلة التصوير التى تصور كل ما يقع أمام عدستها وينقلها إلى مؤلفاته ... حقًا إن أنطون تشيخف لم يصور كل ما يحيط به ، فهو لم يقم بوظيفة عدسة الكاميرا ذاتها ، بل ذهب أبعد من هذا، فبمنتهى الدقة قام بتحليل كل ما يقع فى مرمى نظره ، وأصبح مضمونًا لمؤلفاته . فصوَّر الكثيرَ من الظروف والعلاقات الاجتماعية لحياة المواطن الروسى فى هذا الزمان: العلاقات بين الأغنياء والفقراء ، بين المدراء وصغار العاملين بين موظفى درجات السلم الوظيفى المختلفة ، والعلاقات بين أفراد الأسرة ، مما يجعلنا نؤكد بأنه لم يصور الحياة فقط ، بل قام بتحليلها اجتماعيًا ونفسيًا وفلسفيًا. وهذا ما أثبته الناقد فلاديمير باريسافيتش كاتايف (١٩٣٨) – وهو أحد النقاد المعاصرين رفيعى

الثقافة ومتفتحى العقول ـ فيقول : " نستطيع أن نتعرف من خلال مؤلفاته على الحياة فى روسيا فى هذه الحقبة: العصر التشوفى . فكثير من الأشياء منذ عصر تشيخف ربما تكون قد تغيرت فى روسيا ، وفى جميع أنحاء العالم ، فبعض مفردات الكلمات على سبيل المثال: درجات السلم الوظيفى قد أصبحت بالية ، ولم تعد تستخدم فى وقتنا المعاصر. إلا أنه فى حقيقة الأمر ، هناك الكثير بقى دون تغيير ، فالعلاقات الاجتماعية ، بقيت حتى الآن لدرجة ما فى روسيا الحديثة ... إن مؤلفات تشيخف مفهومة لنا الآن كصورة رحبة للعلاقات الاجتماعية ، فإذا ما اقتصر الأمر على رأى هؤلاء النقاد المعارضين للكاتب، لبقيت مؤلفات تشيخف حبيسة عصرها ولم تعبر حدود الزمان والمكان ..." [11].

وهكذا رسم أنطون تشيخف لوحة طبيعية لنماذج من الحياة ، واحتفظ برونق التحليل النفسى الدقيق لكل ما وقع فى مجال بصره . فنجده يصوّر و يحلل الطباع الإنسانية وأمزجتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم .

وردًا على هذه الافتراءات والادعاءات ، فبالإيجاز ، والاقتضاب ، وقوة التعبير ـ الذى يتميز به أسلوبه فى السرد ـ وكما عهدنا فيه ـ يرد أنطون تشيخف على هؤلاء النقاد، فيقول : " يا للعجب ، كله سخافة (يقصد النقد) ، وتفاهة ، وأنا شخصيًا أعتبر ذلك قد وصل إلى حد الابتذال" . وفى مقام آخر يعرب عن حسرته لما وصل إليه النقد الأدبى حينها: "آه ، يا ليت أن يكون لدينا نقد يهدى الإنسان كالنجمة فى الظلمة الحالكة". تعددت آراء أنطون تشيخف بالنسبة للمقالات الانتقادية فيؤكد: " أقرأ ولا أستطيع أن أفهم ، هل هم يمتدحوننى أم يرثون حال روحى المتهالكة ؟! يا لها من موهبة ! يا لها من موهبة! وفى الوقت نفسه يترحمون على روحى" . وها هى كلمات أخرى ، يقول فيها : " النقاد مثل ذبابة الخيل ، التى تعوق الخيل وقت حرث الأرض ... منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا أقرأ النقد الذى يخص قصصى القصيرة ، ولا أذكر حتى إشارة واحدة ذات قيمة تترك انطباعًا جيدًا عنى .... النقد يقول إننى سكران طينة وسأموت بالقرب من السياج" ... "النقد شيء مرعب ، لا تنتظر منه مساندة ، أو تسامح حتى مع حديثي العهد بالعمل الأدبى ... فهو ببساطة جائر وقاسى ... لو تعرف كم أهانونى بقسوة وبلا هوادة ! فقد نصبوا أنفسهم

11 ـ ف. ب. كاتايف ، "من كاتب هزلى إلى أديب اعتلى القمة ، القاهرة ، 2005 ، ص 35 – 36 (باللغة الروسية) .

قضاة البشرية" . وكناقد أدبى وبكلمات بسيطة واضحة يؤكد أنطون تشيخف: "لقد أردت – فحسب- أن أقول للناس بصدق وبصراحة: انظروا إلى أنفسكم، انظروا كيف تحيون حياة سيئة مملة؟ فأهم شيء أن يفهم الناس ذلك، وعندما يفهمون سيشيدون حتمًا حياة أخرى أفضل . ولن أراها ، ولكنى أعرف أنها ستكون حياة مختلفة تمامًا ، لا تشبه هذه الحياة. وطالما لم تحل بعد فسوف أظل أردد للناس مرة بعد مرة: فلتفهموا كيف تحيون حياة سيئة مملة". وفى رسالة بتاريخ ١ مارس عام ١٩٠١ إلى زوجته أولجا ليانارداڤنا كنيبر (١٨٦٨ ـ ١٩٥٩) يكتب فيها: "أنا شخصيًا سأتخلى عن المسرح تمامًا، لن أكتب بعد للمسرح. فمن الممكن أن أكتب للمسرح فى ألمانيا ، وسويسرا ، وحتى فى إسبانيا، ولكن ليس فى روسيا ، حيث لا يحترمون مؤلفى المسرح ويرفسونهم بحوافرهم، ولن يسامحوهم لنجاحهم أو لفشلهم . وللمرة الأولى فى حياتك ، يسبونك ؛ لأنك شخص حساس، ومع مرور الوقت كل شيء يمر دون أن تشعرين ، ثم تعتادين على هذا" [12].

وإذا كان هناك القليلُ من النقاد قد انتقدوه ، فلا غبار على ذلك ، إذا كان النقد مبنيًا على أسس علمية . إلا أنه تمر السنواتُ ويمحو الزمن ذكرى هذه الكلمات ، وتدرك الأجيال الحديثة القيمة الفنية الحقيقية لفنان الكلمة أنطون تشيخف . ففى المقابل امتدحه المئات بل الألوف فى روسيا وخارج حدودها ، وهم كُثر ، فقد تعدى إبداعه حدود الزمان والمكان . فعلى سبيل المثال لا الحصر يؤكد الروائى ليف نيكلايفتش تلستوى (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) أن مؤلفات أنطون تشيخف تحتل مكانة عالمية لأنه «.. فنان لا نظير له . نعم ... لا نظير له . إنه فنان الحياة ، وميزة فنه أنه مفهومٌ وقريبٌ ليس لكل إنسان روسى فحسب ، بل ولكل إنسان عامة .. وهذا هو المهم» ، ويكتب عنه الكاتب مكسيم جوركى (١٨٦٨ـ ١٩٣٦): «ما أطيب أن تتذكر إنسانًا كهذا ... فعلى الفور يعود النشاط إلى حياتك ، ومن جديد يدخل إليها معنى واضح ...» ، ويقدر «قسطنطين فيدين » (١٨٩٢ – ١٩٧٧) إبداع أنطون تشيخف ، فيقول : «... بموهبته فى رؤية العالم، يقف فى الصف الرائع لكلاسيكيى القرن التاسع عشر ، ذلك الصف الذى يستهله اسم بوشكين الساطع . أما فن الكتابة لديه ، والذى يبهرنا ببساطة الشكل الصارمة، قد جعل منه كلاسيكيًا عالميًا» . ورأى ألكسندر فادييف (١٩٠١ ـ ١٩٥٦) فى أعماله «تجاوبًا عميقًا مع المستقبل» .

12 ـ ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1963 ، المجلد الثانى عشر ، ص 399 .

اتسمت مؤلفات أنطون تشيخف بشهرة واسعة فى كثير من بلدان العالم . فكتب عنه الأديب المسرحى الإيرلندى جورج برنارد شو (١٨٥٦ـ١٩٥٠) «إن أنطون تشيخف ـ يسطع كنجم من الدرجة الأولى وسط كوكبة المسرحيين الأوربيين العظام ...» ـ . وفى مصر يؤكد الكاتب محمود تيمور (١٨٩٤ – ١٩٧٣) أن مؤلفات أنطون تشيخف «تتميز بالصدق والبساطة ... وأنه يكتب بفكره ووجدانه دون مجهود أو تصنع أو تكلف...» ويعترفُ الدكتور الطاهر أحمد مكى (١٩٢٤) : أن تشيخف «يعد اليوم واحدًا من أعظم كُتاب القصة فى العالم وأهم كُتاب روسيا وأوضحهم تأثيراً فيمن جاءوا بعده »[١٣] . كما يشير الدكتور رشاد رشدى إلى فلسفة أنطون تشيخف فى الكتابة المسرحية : «لقد كانت له فلسفة هى ما يمكن أن نسميها فلسفة العادى فقد كان يرى أن الحياة العادية أو التى تبدو عادية هى التى يكمن فيها كل شيء ... سعادتنا وشقاؤنا ، آلامنا وأفراحنا ، آمالنا وأحلامنا ، ما تحقق وما لم يتحقق ...»[١٤] . ويقرّ الأستاذ كمال عيد : «إن شخصياته فى رسمها الدقيق قد صورت مزايا عصره تصويرًا واضحًا دقيقًا ... وبهذا سجّل فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر روسيا القيصرية تسجيلاً يعجز المؤرخون عن تأريخه ... سجلها فى أعماله الأدبية بمقاييس صادقة ومعايير دقيقة متشابهاً فى ذلك مع أونورى دى بلزاك الكاتب الفرنسى المشهور»[١٥] . ويؤكد الدكتور محمد مندور بأن الأديب أنطون تشيخف: "مثل فريد لكبار الأدباء الذين نفذوا من خلال المحلية الخالصة إلى الحقائق الإنسانية العامة "[١٦] .

وعن المكانة الخاصة التى يعتليها الأديب فى العالم العربى يشيد بها الدكتور محمد يونس: «أن للأديب مكانة متميزة فى قلب القارئ والناقد والكاتب والفنان العربى، لا يكاد أن يقاسمه فيها إلا القلة من عمالقة الأدب الإنسانى العالمى»[١٧] . ويكشف الدكتور ماهر عسل عن موهبة أنطون تشيخف التى استطاعت : « أن ترقى إلى قمم فنية عديدة ، وأن تظل دومًا غيرَ راضيةٍ عما حققت ، طامحة إلى التحليق فى آفاق جديدة

13ـ د. الطاهر أحمد مكى ، "القصة القصيرة ـ دراسة ومختارات ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، القاهرة ، دار المعارف

14 ـ د. رشاد رشدى ، "نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن" ، القاهرة ، 1968 ، ص 277 .

15 ـ كمال عيد ، دراسات فى الأدب والمسرح ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 13 .

16 ـ د. محمد مندور ، «المسرح العالمى» ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 219 .

17 - د. محمد يونس ، "الكلاسيكيون الروس والأدب العربى" ، بغداد ، 1985 ، ص 117 .

وموضوعات مبتكرة فريدة»[18] وفى حوار للكاتب الصحفى الساخر الكبير أحمد بهجت (١٩٣٢ – ٢٠١١) ، والذى نُشر فى ملحق عدد الجمعة بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠١١ ، قبل وفاته بفترة قصيرة ١١ ديسمبر ٢٠١١ ، يقول: « لابد أن أقرأ الأدب الروسى فهو مدرسة لا مثيل لها ... » ثم يستطرد فى الكلام ويؤكد «وتعلمت من أنطون تشيخف كيف يكون الغوص فى النفس البشرية ... وتعلمت من قدرته الخاصة على كشف الحقيقة العميقة التى لا يراها الغالبية العظمى من البشر ... وتعلمت أن من الحكمة قبل أن تصدر أحكامًا قاسية على البشر أن تبحث لهم عن أعذار إنسانية ... وأن نبعد دائمًا عن كرسى القاضى والجلاد... » ثم يتحدث عن أحلى وأحب قصص الأديب التى تسكن قلبه ويراها مدهشة وحية حتى الآن هى قصة «الحرباء» ، لأن فى رأيه "أن الحرباء موجودة فى كل عصر وأوان". هكذا امتدح العديد مؤلفات أنطون تشيخف . كما تأثر به العديد من أدباء مصر على سبيل المثال : يوسف إدريس ، نعمان عاشور ، إبراهيم أصلان، وأبو المعاطى أبو النجا ... وآخرون .

ويجدر الإشارة هنا إلى التأكيد على المكانة المرموقة التى يشغلها الأديب أنطون تشيخف فى قلوب المصريين . ففى ١٩ /٤/ ٢٠١١ تم إزاحة الستار عن تمثال برونزى للكاتب بمناسبة مرور مائة وخمسين عامًا على ميلاده فى احتفالية كبرى فى حديقة المركز الروسى للعلوم والثقافة بالقاهرة ، والذى كان من المفترض أن يتم افتتاحه فى نهاية شهر يناير إلا أن الأحداث السياسية حالت دون ذلك . وهذا التمثال هدية من الجمعية المصرية لخريجى الجامعات والمعاهد الروسية فى مصر تقديرًا للدور الذى لعبه الأديب ليس فى روسيا والعالم ، وإنما أيضًا فى مصر . وقد قام بهذا العمل الفنى الرائع النحات المصرى القدير الدكتور أسامة السروى – أحد خريجى المعهد الأكاديمى لفنون الرسم ، والنحت، والعمارة ـ بمدينة سانت بطرسبورج . وقد جسد الفنان صورة الأديب أنطون تشيخف كأنه قريبٌ جدًا منه وعلى معرفة وثيقة به . فهو يجلس ثابتًا على مقعد وثير ، واضعًا ساقًا على ساق يرمز إلى المكانة العالمية التى يتمتع بها الأديب على عرش الأدب العالمى ، وكذلك يلمس بالسبابة صدغه مستغرقًا فى التفكير ليس فقط فى حياة الشعب الروسى ، بل مشغول البال أيضًا بالإنسان البسيط فى كل مكان وأيضاً أظهر النحات المصرى الأصيل ملامح وجه الأديب أنطون تشيخف المميزة ، واضعاً نظارة كانت شائعة بين مثقفى عصره ،

18 - د. ماهر عسل ، مسرحيات عالمية ، القاهرة ، 1968 ، ص 8 – 9 .

وأبرز تأنقه الشديد فى ملبسه الكلاسيكى ، مؤكداً بهذا كلمات الأديب الخالدة حيث قال: «يكمن فى الإنسان كل ما هو جميل فى محيّاه ، وملبسه ، وروحه ، وأفكاره».

وهذا يعنى أن على الإنسان أن يكون جميلاً فى مظهره وأيضاً فى عالمه الداخلى بما يحمله من إيمان وصفاء ، ووفاء . و يجسد الدكتور أسامة السروى فى هذا التمثال ملامح الطبقة المثقفة المتعلمة التى ينتمى إليها الأديب والتى تقود الإنسان إلى التقدم والإزدهار بما لديها من علم ومعرفة ، ممسكاً كتاباً بيده يرمز إلى ضرورة وحتمية التعليم والتعلم طالما بقى الإنسان على كوكب الأرض . هذا هو أول تمثال لأحد الكتاب الروس الكلاسيكيين على أرض الكنانة مصر . وقد حضر هذا الاحتفال لفيف من رجال الفن والثقافة وأساتذة من الجامعات المصرية . كما حضره سعادة سفير روسيا الاتحادية بالقاهرة آنذاك ميخائيل بجدانف ، ومعالى وزير الثقافة المصرية الدكتور عماد أبو غازى حينها ، والذى أشاد بأن أنطون تشيخف يُعد من ألمع وأشهر الأدباء الروس فى مصر ، وله تأثير كبير ليس فقط على كثير من الأدباء المصريين ، بل وعلى الأعمال المسرحية المصرية ، فقد تعرّف العامة والخاصة على مؤلفات أنطون تشيخف الأدبية من خلال ترجمة الدكتور أبو بكر يوسف .

وفى السادس والعشرين من شهر فبراير عام ٢٠١٥ م استقبل المركز الروسى للعلوم والثقافة بالقاهرة جمهوراً من مُحبىّ وعاشقى الأديب الراحل أمام نصبه التذكارى ، حيث التفّ الجميع حوله ونثروا الورود احتفالاً بمرور مائة وخمسة وخمسين عاماً على ميلاده، مؤكدين أهمية مؤلفاته الأدبية – من قصة قصيرة وقصة ومسرحية – ذات المضمون الإنسانى والتى ترجم أغلبها إلى أكثر من مائة لغة أجنبية كما ظهر على شاشة السينما أكثر من أربعة وتسعين فيلماً مأخوذة عن أعماله الأدبية فى روسيا ومازالت أعماله المسرحية تقدم على خشبة المسرح المصرى . وبهذه المناسبة قدّم الدكتور أسامة السروى لوحة زيتية (بورتريه) لأنطون تشيخف هدية للمدرسة الروسية فى القاهرة .

تمثال الأديب "أنطون تشيخف" المقام بحديقة المركز الروسى للعلوم والثقافة بالقاهرة
من أعمال النحات المصرى القدير الدكتور أسامة السروى

تناول العديدُ من النقاد الروس والأجانب سيرته الذاتية ومؤلفاته الأدبية ، وسنتوقف هنا قليلاً عند أحد هذه الأعمال النقدية ، ونحن ليس بصدد نقد هذا الكتاب بما له أو عليه ، وإنما نود الإشارة إلى أهمية هذا الكتاب: « تشيخف . السيرة الذاتية» للناقد الإنجليزى أرنست سيمنز[19]. فهو مجلد يقع فى ٦٦٩ صفحة ، ويُعد من أحد أفضل الكتب الأجنبية عن أنطون تشيخف ويتضمن العديدَ من المواد الأرشيفية والمخطوطات باللغة الروسية والإنجليزية ، ويعطى صورة كاملة مستفيضة للحياة الاجتماعية والأخلاقية، والفلسفية للأديب ويلقى الضوء بالتحليل وبدقة متناهية ، وشديد التفحص على الجوانب الغامضة فى سيرته الذاتية وفقًا لتسلسل الأحداث تاريخياً .

ينقسم هذا المجلد إلى ستة فصول: الأول- «الطفولة ، المراهقة ، الشباب» (١٨٦٠- ١٨٨٦)، الثانى- «اكتشاف الموهبة» (١٨٨٦ – ١٨٨٩) ، الثالث- «المعاناة ، رحلة البحث الأدبى ، النضج» (١٨٨٩- ١٨٩٢) ، الرابع- «مرحلة ميليخوفا» (١٨٩٢- ١٨٩٨) ، الخامس- "بداية مرحلة يالتا" (١٨٩٨- ١٩٠٠) ، السادس- "الزواج والوفاة" (١٩٠١- ١٩٠٤) . فهو بحق يعد عملاً جاداً لا يوجد له مثيل فى حجمه حتى فى روسيا. كما نود الإشارة إلى أحد الكتب الأمريكية والتى صدرت عن الكاتب الروسى بعنوان " تشيخف ونثره" للناقد توماس وينر[20] الذى يتميز بالدقة عن العديد من الأعمال التى صدرت خارج روسيا، لدراسة إبداع أنطون تشيخف . فيتكوّن من مقدمة وثلاثة عشر فصلاً . ففى المقدمة يؤكد الناقد أن أنطون تشيخف أحد أشهر كتاب القصة القصيرة ، أسهم فى تطور هذا الجنس الأدبى ، ليس فقط فى الشكل البنائى والمهارات الفنية ، وإنما شمل أيضًا الأفكار والموضوعات التى تناولها . ويؤكد توماس وينر لكى يتم الحكم بحق وإنصاف على مؤلفات أنطون تشيخف فلابد للناقد الأدبى أن يكون على دراية بالأحداث التاريخية ، والنظم الاجتماعية ، والصراع الطبقى ، والتراث الأدبى فى روسيا. كما لابد من الاعتراف بأن مرحلة أنطون تشيخف جاءت فى وجود عملاقين من الأدباء الروس فيودر ميخيلافيتش داستيفسكى (١٨٢١ – ١٨٨١) وليف نيكلايفتش تلستوى (١٨٢٨ – ١٩١٠) – والتى تعد أزهى عصور الأدب الروسى ، وكما يطلق عليه – الأدب الذهبى . فاستطاع أن يثبت جدارته الإبداعية واللحاق بركب المبدعين ، وأصبح من أهم وأشهر الأدباء الروس ، بل أكثر من هذا فقد أثر الشكل الأدبى وأسلوب أنطون تشيخف على كثير من الأدباء الجدد من الروس والأجانب .

19 - أرنست سيمنز ، تشيخف ، السيرة الذاتية ، 1962 .
20 - توماس وينر ، تشيخف ومؤلفاته النثرية ، نيويورك ، 1966 .

بورتريه "أنطون تشيخف" للدكتور الفنان أسامة السروى

تناولت فصول الكتاب تحليل باكورة مؤلفات الأديب بداية من "أنتوشا تشيخونتيى" إلى أنطون تشيخف ، والارتباط الأيديولوجى والفنى بين ل. ن. تلستوى وأنطون تشيخف، والخصائص الفنية التى شملت الإيجاز ، وكشف خبايا الأبطال بنقل مسحة ملموسة لانفعالات الخوالج النفسية ، كما اهتم الناقد بعين فاحصة بأسلوب الأديب مؤكدًا على موسيقى لغته الفريدة التى تتميز بأساليب بلاغية متعددة . وبذل الناقد جهدًا كبيرًا فى تعريف القارئ الأجنبى المتحدث باللغة الإنجليزية بالقيم الجمالية اللغوية المتنوعة بالمفردات التى يرتشفها أنطون تشيخف من العديد من المجالات الحياتية والكتب المقدسة، والمعاجم ، وأحاديث البسطاء ، فدائمًا يوصى الأديب بالسفر فى عربات الدرجة الثالثة فإنها تحتوى على "أشياء كثيرة طريفة للغاية" . فمؤلفاته الأدبية ، مفعمة بهذه المفردات برسمه للطبيعة الروسية الغناء المتنوعة سواء للأنهار ، والهواء المعطر بعبير الزهور ، وصدح الطيور ، ووميض الشمس الساطع ، وفى كثير من الجمل تسمع وتحس بنظم الإيقاع الشعرى ، بلغة سهلة حية رائعة معبرة .

بالإضافة إلى هذا يحاول الناقد توماس وينر أن يشرح فيما تنحصر النكته وقدرة الكاتب على التلاعب بالكلمات فيحاول إثبات - قدر استطاعته - جمال وحسن استخدامه لمفردات اللغة الروسية من "جناس وتورية" - وذلك رغم صعوبة نقلها بالترجمة إلى القارئ الأجنبى - مؤكدًا على أنَّ أنطون تشيخف فنان ضليع فيها. ويشير أيضًا إلى أهم ما تتميز به القصص القصيرة بالتحليل النفسى للأبطال . كذلك دافع الناقد عن النغمة التى تسود بين النقاد فى الغرب بأن أنطون تشيخف - متشائم . فهذه عبارات دارجة مقولبة ، ودافع عن هذا بأن أنطون تشيخف وصف الحياة بواقعية ، وكشف عن كل ما هو خفى فى حياة الإنسان البسيط متوسط الحال ، الذى يعيش بعيدًا عن الأضواء.

هكذا يعد أنطون تشيخف نجمًا بازغًا فى سماء البشرية كأحد عمالقة العصر الذهبى للأدب الروسى ، ولن يغيب أبدًا . فعلى الرغم من مرور أكثر من مائة عام على وفاته فإبداعه لا يعطى صورة واقعية لصورة الإنسان فى عهد روسيا القيصرية فحسب، وإنما يواكبُ روحَ الإنسان المعاصر لأنها تمسُ المشاعر الإنسانية لأى قارئ فى أى زمان ومكان.

* * * * * *

НА БОЛЬШОЙ ДОРОГЕ
(1885)

على الطريق العام
(1885)

ترجمة
نادية سلطان

obeikan.com

obeikan.com

على الطريق العام
مشهد درامى فى فصل واحد
شخصيات المسرحية

تيخون يفستيجنييف	: صاحب حانة على الطريق العام .
سِيمنْ سيرجييفيتش بارتسوف	: إقطاعى مفلس .
ماريا يجوروفنا	: زوجة بارتسوف الإقطاعى .
سافا	: رجل عجوز عابر سبيل .
نازيروفنا ييفيموفنا فيديا[1]	: سيدتان متدينتان .
إيجر ميريك	: عابر سبيل ، عامل .
كوزما	: متسكع .
ساعى بريد	: مسافر .

حوذى زوجة بارتسوف .

مسافرون متدينون ، رعاة غنم ، عابرو سبيل ... إلخ .

يجرى الحدث فى إحدى المقاطعات الجنوبية بروسيا . والمشهد عبارة عن حانة يمتلكها تيخون. على اليمين توجد طاولة الحانة ورفوف عليها زجاجات الخمر . داخل الحانة باب يؤدى إلى الخارج ، معلق عليه من الخارج فانوس أحمر صغير يضاء بالزيت . الأرضية والمقاعد القريبة من الحائط مشغولة عن آخرها بالمتدينين والمسافرين. وكثير من هؤلاء الذين ليس لديهم مكان غفوا وهم جالسون . الوقت متأخر . عند رفع الستار يُسمع صوت دوى الرعد ويشاهد وميض البرق عبر الباب .

obeikan.com

I

يقف تيخون خلف طاولة الحانة. ويضطجع فيديا ممدداً على إحدى المقاعد الطويلة مستنداً على أحد مرفقيه وهو يعزف بهدوء على الهارمونيكا. بالقرب منه يجلس بارتسوف، مرتديًا ثيابًا صيفية رثة. وعلى الأرض بالقرب من المقاعد الطويلة يجلس كل من سافا، نازيروفنا وييفيموفنا.

ييفيموفنا : (مخاطبة نازيروفنا). من فضلك يا أماه، ادفعي هذا العجوز! يبدو أنه قد أسلم الروح.

نازيروفنا : (ترفع من على سافا طرف الثوب الذي يرتديه). أيها المؤمن، أيها المؤمن! هل أنت ما زلت على قيد الحياة أم فارقتها؟

سافا : لماذا فارقت الحياة؟ إنني على قيد الحياة يا أماه (ينهض مستنداً على مرفقه) غطّي قدمي من فضلك أيتها العجوز! نعم هكذا، القدم اليمنى أكثر، أيوه كده يا أماه، أعطاك الله الصحة والعافية.

نازيروفنا : (وهي تغطي قدم سافا) : نَمْ، يا أبت!

سافا : ما هذا الحلم الذي رأيته هنا؟ كان من الممكن تحمّل هذا العذاب لو كان هناك صبر، لست بحاجة إلى النوم، فالمذنب لا يهنأ بالسكينة. ما هذه الضوضاء يا عزيزتي المؤمنة؟

نازيروفنا :الله يرسل عاصفة رعدية، وتعوي الريح، وتهطل الأمطار بغزارة، تهطل بعنف. وتصطدم بالسطح وتنقر على زجاج النوافذ وكأنها حبيبات صغيرة من البازلاء. هل تسمع؟ شيء رهيب لا يصدق فقد انفتحت السماء بوابل من الأمطار....

يسمع دوي الرعد

يا قدوس، يا قدوس، يا قدوس.....

فيديا : يدوى الرعد ، ويزأر ، و يحدث ضجيجًا ، ليس له نهاية ! ممم .... بالضبط وكأن الغابة تصدر ضجيجًا ... ممم ... الريح تعوى كالكلب ... (سرت قشعريرة فى بدنه) أشعر بالبرد! فالثياب مبتلة ، على الأقل لابد من أخذها وعصرها، الأبواب مفتوحة على مصرعيها... (يعزف بصوت خافت على الهارمونيكا) لقد ابتلت آلتى الموسيقية – الهرمونيكا ، لذا يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية ، لن تكون هناك موسيقى ، ولو كانت آلة الهرمونيكا فى حالة جيدة لكان من الممكن العزف عليها ولقدمت لكم حفلة رائعة، تسعدون بها ، لدرجة أنه من الممكن أن تهوى فيها القبعات من شدة الفرح والمرح ! شيء رائع! كان من الممكن أن أعزف ما تطلبونه مثل رقصة الكادريل[2] أو البولكا[3] ... أو أى مقطع من أغان روسية ساخرة مضحكة ... ففى استطاعتى أن أقدم ذلك كله . فى المدينة ، وقفت فى أروقة جراند أوتيل ، واسترسلت فى العزف على آلة الهارمونيكا وعزفت جميع النوتات الموسيقية ، ولكن لم أتكسب أية نقود. وأستطيع أيضًا العزف على الجيتار.

يسمع صوت من أحد أركان المكان : «رجل أحمق يقول كلاماً سخيفاً» .

فيديا : إننى أسمع كلام شخص مغفل .

وقفة قصيرة

نازيروفنا (تقول لسافا) عليك الآن ، أيها العجوز ، أن ترقد فى مكان دافئ وتدفئ قدميك .

وقفة قصيرة

(تدفع سافا) . أيها الرجل العجوز ، أيها الرجل التقى ، أخ ، هل تتأهب للموت؟

فيديا : ليتك يا جدى لو احتسيت قليلاً من الفودكا ، فحين تشربها سوف تدفئ بطنك وعندئذ ستريح قلبك قليلا. اشرب يا عزيزى!

نازيروفنا : كُف عن هذه البجاحة أيها الشاب ! . قد يلفظ الشيخ العجوز أنفاسه الأخيرة ويحاول أن يكفر عن ذنوبه ، وأنت تقول مثل هذه الكلمات وتتحدث عن الهارمونيكا... كفاك حديثًا عن الموسيقى! يا لك من قليل الحياء!

فيديا ما شأنك أنت وهذا العجوز؟ إنه واهن ، وأنت... يا لها من غباوة ستات ... ولأخلاقه الحميدة لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة سيئة، أما أنت ففرحانه ، ومسرورة ، وهو يستمع إليك أيتها الحمقاء... فلتنم يا جدى ، ولا تصغ إليها! دعها تثرثر ، أما أنت فلا تبالى . إنه كلام ستات فهى كالمكنسة الشيطانية التى تكنس من الدار الصالح مع الطالح. فلا تبالى ... (يضرب كفًا على كف) . كم أنت يا أخى ، يا عزيزى ، نحيف! يا للهول ! إنك تشبه هيكلا عظميًا لشخص ميت! ليس عندك أى حيوية ! أخ ، وفى الحقيقة، ألا تشعر بأنك تحتضر؟

سافا لمَ أموت؟ ارحمنى يا الله ، وبألاَ أموت سدى ... إننى أتألم قليلاً وبمساعدة الرب سوف تتحسن صحتى ... وأقف على قدمىَ ... ولن تسمح السيدة العذراء بأن أقضى نحبى على أرض غريبة... بل أموت فى دارى...

فيديا هل أنت قادم من مكان بعيد؟

سافا أنا من فولاجدا من مدينة فولاجدا[4] نفسها ... رجل بسيط وعلى قد حالى من هناك ...

فيديا وأين فولاجدا هذه؟

تيخون مقاطعة ... بعد موسكو ...

فيديا آه ، آه ، آه... أيها الرجل الملتحى !... ماذا جاء بك إلى هنا! هل جئت ماشياً على الأقدام؟

سافا نعم سيراً على الأقدام ، يا عزيزى. كنت عند دير تيخون زادونسكى[5] ، وسأذهب إلى الجبال المقدسة ... ومن الجبال المقدسة ، بمشيئة الرب ، فى أوديست ... ومن هناك يقولون وبأرخص الأسعار يرسلونهم إلى بيت المقدس .... كما يقولون بواحد وعشرين روبلاً ...

فيديا وهل ذهبت إلى موسكو؟

سافا ياه ! حوالى خمس مرات ...

فيديا أهى مدينة جميلة؟ (بدأ يدخن) أتستحق زيارتها؟

سافا هناك أماكن مقدسة كثيرة ، يا عزيزى ... وحيثما توجد أماكن مقدسة ، فالجمال يعم كل مكان ...

بارتسوف (يقترب من طاولة الأطعمة والمشروبات مخاطبًا تيخون) مرة أخرى أتوسل إليك! . أعطنى كأسًا! . أعطنى ، أستحلفك بالسيد المسيح! .

فيديا أهم شيء فى المدينة ، أن تكون نظيفة ... فإذا كان هناك تراب ، وانهمر المطر فسيتكون الوحل ، فلابد من نظافتها . وأن تكون هناك منازل عالية... ومسرح ، وبوليس ... وحوذيون ، إللى ... أنا عشت فى المدن ، وأفهم هذا جيدًا .

بارتسوف أعطنى كأسًا صغيرًا ... ولو هذا الكأس الصغير ... . وعلى الحساب! . وسوف أدفع لك فيما بعد! .

تيخون كفى .

بارتسوف أتوسل إليك ! اعمل معروفاً ! .

تيخون ابتعد عن هنا ! .

بارتسوف أنت لا تفهمنى ... أرجوك افهمنى ، أيها الجلف ، إن كان فى رأسك القروية المتحجرة هذه ولو ذرة من العقل ، لعلمت إننى لا أتوسل إليك ، ولكن كل ما بداخلى من أحشاء هو الذى يتوسل إليك! فإدماني هذا هو الذى يتوسل إليك!. هلا فهمتنى ! .

تيخون لا حاجة لنا فى أن نفهم ... ابتعد من هنا ! .

"بارتسوف" يطلب من "تيخون" كأساً صغيراً من الخمر

بارتسوف عليك أن تفهم، إذا لم أتناول كأسًا من الخمر الآن، وإن لم أُشبع رغبتى، من الممكن أن أرتكب جريمة. ويعلم اللّه وحده، ما الذى أستطيع عمله! . ألم تدرك، أيها الجلف، كم من أناس سكارى قد ترددوا على حانتك، وحتى الآن لا تستطيع أن تستوضح حقيقة هؤلاء الناس؟ إنهم مرضى!. لا يهمهم إذا كبلتهم بالأغلال، أو ضربتهم، أو ذبحتهم، ولكن الأجدى لهم أن تعطيهم كأسًا من الفودكا! . أكون ممنونًا لك! فاعمل معروفًا! أتضرع إليك! . يا إلهى، كيف أتوسل إليك! .

تيخون تدفع فلوساً، ستحصل على الفودكا .

بارتسوف من أين آتى لك بالنقود؟ أنفقت كل ما عندى من مال على شرب الخمر! . أفلست تمامًا! . ما الذى أستطيع أن أعطيهُ لك؟ الشيء الوحيد الذى تبقى عندى هذا البالطو، ولكن لا أستطيع أن أعطيه لك... فهو يغطى جسمى العريان... أتريد أن تأخذ قبعتى الشتوية هذه؟ (يخلع القبعة ويعطيها لتيخون) .

تيخون (فاحصًا القبعة) . ممم... كل قبعة تختلف عن الأخرى.... ثقوب كثيرة وكأنها منخل ...

فيديا (يضحك) . قبعة النبلاء!. ترتديها وتمشى بها فى الشارع وأمام المودمازيلات تخلعها للتحية وتقول لهن: تحياتى، وداعًا!. كيف حالكن؟

تيخون (يعيد القبعة لبارتسوف) . قائلاً : لا تلزمنى حتى ولو بدون مقابل. دى زبالة .

بارتسوف ألم تعجبك؟ فى هذه الحالة، أعطنى كأسًا على الحساب!. وعند عودتى من المدينة، سآتى لك بقطعة من فئة خمس كابييكات- المدين لك بها! . عندئذ ابلع هذه الكابييكات التى سوف تكون غصة فى حلقك. ويارب فى هذه الساعة تقف فى زورك! (يكح). إنى أكرهك! .

تيخون (يضرب بقبضة يده على الطاولة) . لماذا تضايقنى بإلحاحك؟ أى إنسان أنت؟ ألست بنصاب؟ لماذا جئت إلى هنا؟

بارتسوف أريد كأسًا من الفودكا! . بالنسبة لى شخصيًا فأنا لا أريد ، ولكن داء الإدمان الذى يسيطر على هو الذى يريد! . افهمنى!.

تيخون لا تخرجنى عن طورى! . سألقى بك فى الحال خارج الحانة فى البرية!.

بارتسوف ماذا علىَ أن أفعل؟ (يبتعد عن الطاولة) . ما الذى يجب علىَ أن أفعله؟ (يستغرق في التفكير)

بييفموفنا هذا الشيطان الملعون يعكر صفو حياتك. وأنت يا سيدى لا تلقى له بالاً . وحتى عندما يهمس فى أذنيك: « اشربْ... اشربْ !» . فقل له : « لن أشرب!. لن أشربْ!» . دعنى وشأنى! .

فيديا ربما يكون فى رأسك ، فى .... ترو - تو - تو -تو ... تتضرر جوعًا! (وهو يقهقه) . يا لك من إنسان غريب الأطوار ، يا سعادة النبيل . هيا أرقد ونم ! لماذا تقف هكذا مثل خيال المآتة وسط الحانة! . فأنت لست فى بستان ! .

بارتسوف (بغضب) اخرس ! لم يسألك أحد ، يا حمار ! .

فيديا تتكلم ، وتتكلم ، وفى النهاية لم تقل شيئًا! . رأينا كثيرين من أمثالك! . وهم يتسكعون هنا على الطريق العام . أما بخصوص موضوع الحمار ، فسوف أبرحك ضربًا على أذنيك ، حتى تعوى أشد من الريح. فأنت اللى حمار! . وشخص كريه! .

وقفة قصيرة

سافل! .

نازيروفنا أيها الشيخ عليك بالدعاء متضرعًا للرب ، حتى تسلم الروح، أما هم فإنهم عديمو التقوى يشاكس بعضهم بعضًا ويقولون كلامًا مشينًا... يا لهم من قليلى الحياء! .

فيديا أما أنت ، أيتها العجوزة الشمطاء ، ما دمت أنتِ موجودة في الحانة ، لا داعى إلى الولولة ، فللحانة تقاليد يجب اتباعها.

بارتسوف ما الذى يجب علىَ أن أفعله؟ ما العمل؟ كيف أستطيع إقناعه؟ وبأى لغة بليغة أستطيع أن أتحدث بها؟ (مخاطبًا تيخون) لقد تجلط الدم فى صدرى! يا عم تيخون! (يبكى). يا عم تيخون!.

سافا (يتأوه) . إن قدمى تؤلمنى ، كما لو كانت رصاصة ملتهبة قد أصابتها ... ماذا أفعل أيتها الأم المؤمنة العزيزة؟

بيفيموفنا ماذا بك يا أبتِ ؟

سافا مَنْ ذا الذى يبكى ؟

بيفيموفنا إنه السيد النبيل .

سافا اطلبى من السيد النبيل ، أن يذرف الدمع ، كى أستطيع العودة إلى فولاجدا وأموت هناك . فالصلوات التى تصاحبها الدموع تلقى الرضا والقبول عند الرب .

بارتسوف أنا لا أصلى أيها الشيخ ! . إن نفسى منقبضة للغاية ، ليست هذه دموع ، فقلبى ينزف دمًا ، (يجلس عند قدمى سافا) يا له من ألم ! على أية حال لن تفهموا ! . وأنت أيها الشيخ ، لا تدرك الأشياء على حقيقتها بعقلك الضيق. يا لكم من أناس جهلاء!

سافا وأين نجد هؤلاء المتنورين؟

بارتسوف لو كان هناك أناس متنورون يا أبت ... لفهموا ... ! .

سافا موجودون ، موجودون ، يا ولدى ... كان هناك أناس قديسون متنورون .... كانوا على علم بكل المشاكل... ودون أن تتحدث إليهم ، تجدهم على الفور يفطنون ... وإذا ما نظروا إلى عينيك ـ فطنوا بما تريد ... . وبعد فهمهم لك تشعر بالسكينة ... وتحس بأن شيئًا لم يكن ـ وكأنها انتزعت باليد! .

فيديا وهل رأيت أنت مثل هؤلاء القديسين؟

سافا حدث بالفعل ، أيها الفتى ... ففى عالمنا يوجد أنواع شتى من البشر . فمنهم الخطاءون ، كما يوجد أيضًا خُدام الرب.

بارتسوف لا أفهم شيئًا ... (ينهض بسرعة) لابد أن يفهموا ، هل أمتلك الآن عقلا لذلك؟ عندى ميل ورغبة للشرب! (بسرعة يقترب إلى الطاولة) . يا تيخون ، خد البالطو! . هل تفهم؟ يريد خلع البالطو (من على جسمه) . ها هو البالطو ...

تيخون وما الذى تحت البالطو؟ (يتفرس بارتسوف ما تحت البالطو. أنت عارى الجسم تمامًا؟ لا تخلع البالطو : لن أأخذه ... ولن أتحمل هذا الوزر .

يدخل ميريك

II

نفس الشخصيات بالإضافة إلى ميريك

بارتسوف حسناً ، سوف أتحمل أنا الوزر ! موافق؟

ميريك (فى صمت يخلع الثوب الخارجى ويظل بالقميص الداخلى. توجد بلطة تحت الإزار ، الذى يشد به خصره): ينتاب الناس الشعور بالبرد، أما الشخص الأخرق فاقد الأقارب دائما يشعر بالحر ويتصبب عرقا (يضع البلطة على الأرض و يخلع قميصًا آخرًا) وفى الوقت الذى تنتشل فيه قدمك من الوحل يتصبب منك سطلا من العرق . وما تكاد تنتشل قدمك من الطين ، حتى تغرز الأخرى فى الوحل .

بيفيموفنا إلى هذه الدرجة ... يا عزيزى ، ألم يقل هطول المطر بعد ؟

ميريك (وقد صوب نظرة إلي بيفيموفنا) . أنا لا أحب الحديث مع الستات .

وقفة قصيرة

بارتسوف (موجهًا كلامه إلى تيخون) . سوف أتحمل أنا الوزر ! . أتسمعنى أم لا؟

تيخون لا أرغب فى سماع أى شيء ، دعنى وشأنى! .

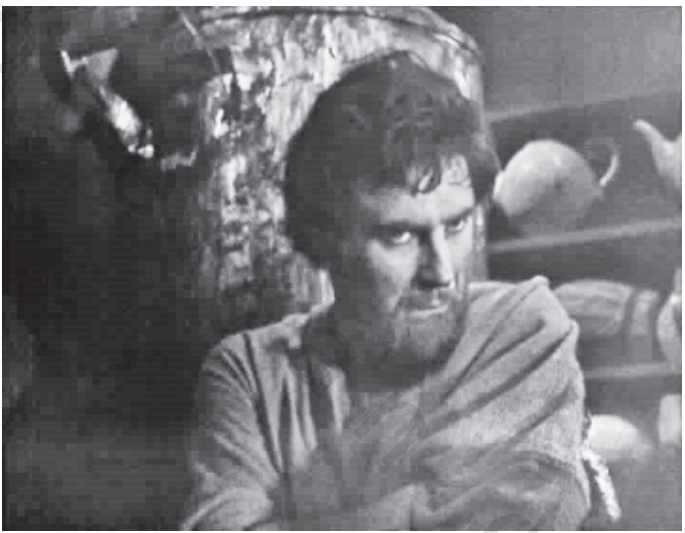

"إيجر ميريك"

ميريك خَيَّم السواد على الدنيا ، وكأن أحدًا قد دهن السماء بالقطران، لدرجة أننى لم أر أبعد من أرنبة أنفى. والمطر يضرب فى وجهى وكأنه ثلج أو صقيع (يأخذ بين ذراعيه الثياب والبلطة) .

فيديا إن هذا الجو مناسب جدًا لأخيكم النصاب . ففى الوقت الذى فيه يختبئ الحيوان المفترس فهو عيد لمثل هؤلاء المهرجين .

ميريك من هذا الشخص الذى تفوه بهذه الكلمات؟

فيديا حذارى ... لا يتدخل أحد فيما لا يعنيه .

ميريك وهو كذلك ... سآخذ كلامك فى الحسبان . (وهو يقترب من تيخون) . مرحبًا ، يا صاحب الوجه الممتلئ! . أنت مش فاكرنى؟

تيخون إذا كنت أتذكر كل السكارى المترددين على الحانة بالطريق العام ، فأنا أحتاج إلى عشرة أدمغة .

ميريك أنظر إلىَ ...

وقفة قصيرة

تيخون هلاَ أنا عرفتك ، يا للعجب ، عرفتك من عينيك ! . (يمد يده للمصافحة) . ألست أنت أندريى بوليكاربف؟

ميريك كنت أندريى بوليكاربف ، أما الآن اعتبرنى إيجر ميريك

تيخون لمَ هذا؟

ميريك أرسل الرب لى هوية منذ شهرين ، تبين أننى أحمل لقب عائلة ميريك.

يدوى الرعد

بوم ... فليدوى الرعد ، فأنا لم أخف ! . (ينظر حوله) . هل يوجد هنا كلاب صيد؟

تيخون كلاب صيد إيه . لا يوجد سوى براغيث وناموس ... شعب وديع ... كلاب الصيد والحراسة تنام الآن وتتمطع على ريش النعام ... (بصوت عال) . يا إخوانى يا أرباب الكنيسة الأرثوذكسية ، خذوا حذركم من جيوبكم ، وثيابكم البالية . وإلا ستندمون على ضياعها !. فقد وصل رجل شرير!. سيقوم بسرقتكم! .

ميريك إذا كان معكم فلوس فحافظوا عليها ، أما فيما يتعلق بثيابكم ، فلن ألمسها . فهى لا تلزمنى .

تيخون إلى أين يحملك الشيطان؟

ميريك إلى كوبان[6].

تيخون ياه !

فيديا إلى كوبان؟ واللّه؟ (ينهض) . إنها أماكن ذائعة الصيت. منطقة مثل هذه ، يا إخوانى ، لا يمكن أن ترونها حتى فى المنام ، ولو نمتم ثلاثة أعوام. إنها بلاد رحبة واسعة . يقولون، إن بها طيورا للصيد، وأيضا حيوانات متوحشة من جميع الأنواع . – يا إلهى! والأعشاب الخضراء تنمو على مدار العام ، وهناك الشعب – يعيش فى حب وونام ، لديهم أراضى زراعية زائدة لا يجدون من يوزعونها عليهم!. ويقولون إن المسئولين هناك ... وكما حكى لى أحد الجنود الأعزاء أخيرا منذ أيام قليلة ... بأنهم يعطون لكل شخص مائة هكتار . إنهم لمحظوظون ، يشهد اللّه على ما أقول .

ميريك الحظ ... والسعادة تمر من وراء ظهورنا ولا نراها . لما تشوف حلمة ودنك لن ترى السعادة ... يا لها من بلاهة (يتفحص المقاعد ونزلاء الحانة) . كأنها عنبر مساجين ... يا له من فقر مدقع! .

بيفيموفنا (مخاطبة ميريك) . كم لديك من عيون حاقدة! ... تسكن فى قلبك نزعة عدوانية ... لا تنظر إلينا هكذا ...

ميريك صحيح ، يا لهم من فقراء ! .

بيفيموفنا أدر وجهك! . (وهى تدفع سافا) . يا سافوشكا[7] ، يوجد شخص شرير يحدق النظر فينا . يكدر حياتنا ، يا عزيزى. (ثم تخاطب ميريك قائلة :) . قلت لك أدر وجهك ، أيها الأفعى !

سافا دعيه وشأنه ، يا أماه ، دعيه وشأنه ... فإن الرب لن يسامحه.

ميريك حسنًا ، أتباع الطائفة الأرثوذكسية ! . (وهو يهز كتفيه). سكون ! . لم تناما حتى الآن يا حمقى! لماذا تلتزمان الصمت؟

بيفيموفنا أدر عينيك ! . أدر عينيك عن هذا الشيطان المتغطرس .

ميريك اخرسى أيتها العجوز الشمطاء ! أنا لست بشيطان متغطرس، كنت أود أن أشاركم أحزانكم بالرقة والكلمة الطيبة. شعرت بالأسى والحزن تجاهكم عند رؤيتى لكم وأنتم تنكمشون من البرد مثل الذباب - يا للأسف على ما حدث!. كنت أود أن أقول كلامًا طيبًا، كم أنا فى حاجة إلى الحنان، أما أنتم فأدرتم وجوهكم الدميمة ! . ما هذا؟ لا داعى (يقترب من فيديا) وأنت أصلا بتشتغل فين ؟

فيديا أنا أعمل هنا فى مصانع خامون المحلية. أعمل فى مصنع الطوب .

ميريك انهض من هنا.

فيديا (ينهض). وبعدين؟

ميريك انهض . انهض من هنا نهائيًا ، فسوف أرقد أنا هنا ...

فيديا يعنى إيه ... هل هذا مكانك ولا إيه؟

ميريك أيوه مكانى. اذهب وارقد هناك على الأرض! .

فيديا مُرْ ، يا عابر السبيل ... أنا لم أخف ...

ميريك بسرعة ... يا للاّ ، امشِ هناك ، ولا تنطق بكلمة ! . وإلا سوف تندم على ذلك ، إنسان غبى .

تيخون (مخاطبًا فيديا) . أيها الشاب لا تعارضه . لا تُلقِ له بالاً .

فيديا بأى حق ، تتكلم معى هكذا؟ أتظن عندما تحملق بعينيك الضيقتين هذه فىَ ، أن الخوف انتابنى! (يلملم أمتعته بين ذراعيه ويذهب لتجهيز الفراش للنوم على الأرض) . يا لك من شيطان! . (ينام ويغطى رأسه).

ميريك (يجهّز لنفسه الفراش للنوم على الدكة) . بقى أن تعرف ، بأنك لم تر بعينك حتى الآن الشيطان الذى سميتنى به ... ، إن الشياطين ليست على هذا النحو (يرقد ويضع بجانبه البلطة). نامى يا بلطتى الحبيبة ، هيا دعينى أغطيك بإحكام يا بلطتى الصغيرة .

تيخون من أين استوليت عليها؟

ميريك سرقتها ... سرقتها ، وها أنا الآن أوليها كل اهتمامى كما لو كانت مخلة مزخرفة بالرسوم: ويؤسفنى أن أتخلص منها فلا يوجد مكان كى أخفيها فيه . فهى كالزوجة المنفرة ... صحيح ... (يتدثر بالغطاء) . ليست الشياطين ، يا أخى ، على هذا النحو ...

فيديا (مطلاً برأسه من تحت الغطاء) . ما الشياطين التى تقصدها؟

ميريك إنها كالبخار ، كالشبح ... هكذا تنفخ (وينفخ) . هكذا هى ، ولكن لا تستطيع أن تراها .

يُسمع صوت من أحد الأركان يقول: « تستطيع أن تراها، إذا جلست تحت المسلفة[8] »

ميريك أنا جلست ، ولم أر شيئًا ... الستات الفلاحات كاذبات، والفلاحون أغبياء .. . إنك لا ترى شيطانًا ، ولا عفريت الغابة ، ولا جنًا ...فالعين لم تخلق لترى كل شيء ... فعندما كنت طفلاً صغيرًا كنت أذهب ليلاً عمدًا إلى الغابة كى أرى عفاريت الغابة ... وأظل أصرخ ، وأصرخ، وكما يقولون إنّ هناك شبحًا ما ، فأنادى على عفريت الغابة دون أن يطرف لى جفن: فكانت تتراءى لى أشياء تافهة ، لكنى لم أر عفاريت الغابة هذه . وكنت أذهب إلى الجبانة ليلاً ، وأتمنى أن أرى أشباح الموتى ، فلم أر شيئًا . فالستات الفلاحات تكذبن . إننى رأيت كل أنواع الحيوانات المتوحشة ، أما بالنسبة لما هو أكثر رعبًا ، فسوف تذهب كل محاولاتك سدى ولن ترى عيناك شيئًا ...

يسمع صوت من أحد الأركان يقول: « لا تقل هذا فإنه يحدث ، ومن الممكن أن تراه... فهناك فى قريتنا قد ذبح فلاح خنزيرًا ... وعندما جاء يتخلص من أحشاء الذبيحة ، ظهر العفريت من بينها »

سافا (ينهض قليلاً) . يا جماعة ، لا تذكروا الشياطين... فهذا إثم، يا أعزائى! .

ميريك آه ... يا أبا لحية شيباء! أيها الهيكل العظمى! . (يضحك) . فليس من الضرورى أن تذهب إلى الجبانة ، فاشباحك تخرج من تحت الأرض وتقرأ لك المواعظ ... إنه إثم ... فلا يمكن وعظ الناس بفكركم الغبى ! . يا لكم من أناس جهلة وتافهة... (يشعل الغليون) . كان أبى رجلاً فلاحًا ، وأيضًا كان يحب أن يُقدّم المواعظ . وذات مرة سرق جوالاً مليئًا بالتفاح من عند القس ، وأحضره لنا، ثم أخذ يوعظنا: «انظروا يا أولادى لا تأكلوا من هذا التفاح حتى يأتى عيد سباس[9] ، لأن هذا إثم...» فأنتم مثله تمامًا ... فأنتم لا تعرفون مَن هو الشيطان إنما من الممكن أن تتصوروه .... فعلى سبيل المثال ، خذوا هذه العجوز الشمطاء (وهو يشير إلى بييفيموفنا) فقد أدركت بأن الشيطان يسكن فى داخلى ، إلا أنها قد أسلمت روحها للشيطان خمس مرات تقريبًا فى اليوم طول حياتها بسبب الحماقات النسائية .

بييفيموفنا تفو ، تفو ، تفو عليك ...إحنا معانا قوة الصليب (تخفى وجهها بكفيها) سافوشكا!

تيخون لماذا تُخيفُهم؟ فرحت!

الباب يصفق من شدة الرياح

باسم اليسوع عيسى المسيح... ها هى الرياح قد هبت !

ميريك (وهو يتمطع) ، آه ، تحبى أن أريك قوتى!

الباب يصفق من شدة الرياح

تحب أن تقيسى قوتى بقوة الريح هذه ! . فأنا لا أستطيع فقط أن أنزع الباب ، ولكن فى استطاعتى أن أقتلع الحانة بأكملها من جذورها ! . (ينهض واقفًا ثم يرقد) . أشعر بالكآبة ! .

نازيروفنا عليك بإقامة الصلوات ، أيها المغفل ! . ما الذى يقلقك؟

بيفيموفنا دعيه وشأنه ، تبا له ! . مرة أخرى ينظر إلينا (وهى تنظر إلى ميريك) لا تنظر إلينا هكذا ، أيها الشرير ! . فعيناك هذه ، كأنها عيون شيطان وقت صياح الديك عند الفجر ! .

سافا دعيه ينظر أيتها المؤمنات ! . واصلاً تأدية الصلاة ، فعيناه لن تزعجنا...

بارتسوف لا ، ليس فى استطاعتى أن أتحمل! (وهو يقترب من الطاولة). فقد أصبح هذا فوق طاقتى! اسمعنى يا تيخون ، آخر مرة أتوسل إليك ... ممكن حتى ولو نصف كأس! .

تيخون (يهز رأسه رافضاً) . الفلوس أولاً ! .

بارتسوف يا ربى ، ألم أقل لك من قبل ! . لقد انفقت كل ما أملك على شرب الخمر ! . من أين آتى لك بالنقود؟ هل سيصيبك الإفلاس إذا ما أعطيتنى على الحساب قليلاً جدا من الفودكا؟ فإن كأسا من الفودكا بالنسبة لك لا يساوى خردلة ، أما بالنسبة لى فسوف يريحنى من الآلام . إنى أتألم! ليست هذه نزوة ، بل معاناة! . افهمنى!

تيخون اذهب وقل هذا الكلام لشخص آخر وليس لى ... فلتذهب هناك وتطلب من أتباع العقيدة الأرثوذكسية ، لعلهم يلبون طلبك إذا أرادوا من أجل اليسوع المسيح ، أما أنا فمن أجل اليسوع المسيح من الممكن أن أعطيك خبزًا فقط .

بارتسوف اذهب أنت واطلب من هؤلاء الصعاليك ، أما أنا ... فلا تؤاخذنى!. فأنا لا أريد ابتزازهم! . وأنا لست بهذا الشخص الجشع! . أنت فاهم؟ (يضرب بقبضة يده على الطاولة) لست أنا بهذا الشخص !

وقفة قصيرة

ممم ... انتظروا لحظة من فضلكم ... (ويلتفت إلى المؤمنين العابدين) . لدى فكرة يا إخواني يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية هلاّ تبرعتم بخمس كابييكات فقط ! . أحشائى تتوسل إليكم. أنا إنسان مريض! .

فيديا عجبًا لك ، تبرعوا ... يا لك من نصاب ... ألا تريد بعضًا من الماء؟

بارتسوف كيف أتوسل إليكم!. كيف أتوسل! لا داعى ! لا يلزمنى أى شيء ! ... كان ذلك مجرد مزحة من جانبى ! .

ميريك لا تلح عليه ، أيها السيد النبيل ... يبدو أنه من سلالة عرق دساس معروف بالشح... انتظر لحظة ، أنا وضعت فى مكان ما قطعة من فئة خمس كابييكات ... سوف نشرب مناصفة كأسا سويا... (ينبش فى جيوبه) . يا للشيطان ... لابد وأن تكون قد استقرت فى مكان ما ... كانت ترن هنا ، منذ وقت قريب ... مافيش ، مافيش ... مافيش يا أخى! حظك كده!

وقفة قصيرة

بارتسوف إن لم أحتس رشفة من الخمر ، فسوف أرتكب جريمة ! . أو أقدم على الانتحار ... ماذا علىَ أن أفعل ، يا الله ، (ينظر صوب الباب) . هل أخرج؟ وأهيم على غير هدى فى جنح الظلام الدامس...

ميريك ماذا بكنَ ، أيتها المتدينات ، المؤمنات ، لماذا لا تقدمان له الموعظة؟ أما أنت ، يا تيخون لماذا لم تلق به فى الشارع؟ يبدو إنه لم يدفع لك حق المبيت. اطرده شر طردة . آه ! . فى هذه الأيام أصبحتم شعبا قاسى القلب. ليس فى قلبه وداعة ، ولا طيبة ... شعب عديم الشفقة! . إنسان يغرق ، فيقولون له بصوت عال: «اغرق وبسرعة ، فليس لدى أحد وقت للنظر إليه ، فالكل مشغول بعمله» . أما عن أحد ما يلقى له بطوق النجاة لإنقاذه فلا جدوى ... لأن الحبل عندهم يساوى نقود...

سافا لا تدينهم ، أيها الرجل الطيب! .

ميريك اسكت أيها الذئب العجوز ! . أنتم شعب عديم الشفقة! ظالم! من الممكن بيع ضمائركم! (وهو يخاطب تيخون). تعال إلى هنا ، اخلع عنى حذائى ! . حالاً وبسرعة ! .

تيخون انظروا كيف تملكه الغضب ! (وهو يضحك) فظيع ! .

ميريك تعال إلى هنا ، ماذا قلت لك! . حالاً وبسرعة! .

وقفة قصيرة

أسمعت ما قلته لك ؟ هل أخاطب أنا الحائط (ينهض) .

تيخون حاضر ، حاضر ... ها يحصل ...

ميريك إننـى أرغـب ، أيها الجشـع فى أن يـكون عندى شـخص شـبيه لك يخلع عن صعلوك فقير مثلى الحذاء .

تيخون حاضـر ، حاضـر ... لا تغضـب ! اذهب وخذ كأسًـا من الفـودكا... واحتسيه ! .

ميريك يا ناس ، هل هذا ما طلبته منه أن يقدم لى كأسًـا من الفودكا، أم أن يخلـع عنى الحذاء؟ هل أخطأت في شـيء ما؟ أليـس هذا ما قلته ؟ (مخاطبًا تيخون) . من الواضح أنك لم تسـمع؟ سـأنتظر لحظة ، لعل وعسى أن تسمع .

يسود بعض الهرج والمرج بين المتدينين وعابرى السبيل .

يقفون ويتطلعون الى كل من تيخون وميريك . صمت وترقب .

تيخون تبا لك ، أى شـيطان جاء بك إلى هنا (يخرج من وراء الطاولة). أي سيد هذا قد ظهر هنا ! . ماذا علىّ أن أفعل غير ما تريد؟ (وهو يخلع الحذاء عن ميريك) . إنك من نسل أشرار .

ميريك أيوه كده . ضع الحذاء على مقربة منى ... أيوه كده ... يا للاّ بقى من هنا! .

تيخون (يذهـب وراء الطاولـة بعـد أن خلع حذاء ميريـك) . إنك تحب أن تسـتهزئ جدًا بالناس! . ولو حاولت أن تسـخر منى مرة أخرى، فسـوف ألقـى بك فى الحـال خارج الحانه! . مفهوم (ثم يقول لبارتسـوف الذى يقترب منه) . هو أنت تانى؟

بارتسوف ما رأيك ، لعل من الممكن أن أعطيك شـيئًا مصنوعًا من الذهب ... فلتسـمح لى ، إذا رغبت ، فمن الممكن أن أعطيها لك ...

تيخون لماذا ترتعد خوفًا هكذا؟ تكلم بوضوح! .

بارتسوف على الرغم من أننى أعتقد ، أن هذا شيء من السفالة والدناءة من جانبى ، ولكن ماذا عساى أن أفعل؟ أنا قررت أخيرًا اللجوء إلى هذا الشيء الدنئ ، وقد يتهمونى بأننى فاقد للأهلية القانونية ... إلا أننى على يقين أن المحكمة سوف تبرئنى ... خذ هذا ، ولكن بشرط : أن ترده لى فيما بعد ، عند عودتى من المدينة . سأعطيه لك أمام شهود ... أيها السادة الأفاضل ، أنتم ستكونون شهودًا على هذا! . (يخرج من عبه ، ميداليون[10] من الذهب) . ها هو ... كنت أود أن أنتزع منه الصورة ، ولكن لا يوجد مكان أضعها فيه : فإن كل جسمى مبلول تمامًا... ولكن ، إياك أن تستولى عليه بالصورة! وما أطلبه منك فقط ... ألا تلمس بأصابعك هذه ذلك الوجه ... أتوسل إليك... أنا يا عزيزى ، كنت فظا معك ... وغبيًا ولكن اعذرنى و ... لا تلمسها بأصابعك ... ولا تتطلع بعيونك إلى هذا الوجه ... (يعطى تيخون الميداليون) .

تيخون (يتفحص الميداليون) . يبدو أنها ساعة مسروقة ... عظيم جدًا اتفقنا، (وهو يصب الفودكا) . اشرب حتى تشبع ...

بارتسوف عليك فقط ألا تلمسها بأصابعك ... يشرب ببطء ، وبوقفات متشنجة .

تيخون (يفتح الميداليون) . ممم ... يا لها من امرأة حسناء ! ... مَنْ أين سرقت هذه؟

ميريك أرنى إياها يا عزيزى! . (ينهض ويتجه إلى الطاولة) . أعطينى إياها كى أتطلع إليها ! .

تيخون (يبعد يده جانبًا) إلى أين تتسلل؟ الق نظرة عليها وهى فى يدى !

فيديا (ينهض ويتوجه إلى تيخون) . اعطنى أيضًا إياها كى ألقى نظرة عليها!

تقترب صوب الطاولة من كل جانب مجموعة من عابرى السبيل والمتسكعين .

ميريك (يمسك بكلتا يديه يد تيخون، التى تمسك باليد اليون، وفى صمت ينظر إلى الصورة. ثم يصمت برهة). يا لها من شيطانة جميلة. من طبقة النبلاء ....

فيديا من النبلاء ... يا لها من وجنات، ويا لها من عيون ... ابعدْ يدك هذه، لا أرى ... وشعرها يصل حتى خصرها... صورة وكأنها إنسانة حية! . وكأنها تتأهب للكلام ...

وقفة قصيرة

ميريك إنها شخصية قوية مهلكة بالنسبة لإنسان ضعيف، فهى تمتطيه ولها اليد الطولى (يلوح بيده) – وفى هذا نهايتك!

يسمع صوت كوزما يقول «يِسْ ... قف يا مغفل»

يدخل كوزما

III

نفس الشخصيات بالإضافة إلى كوزما

كوزما (يدخل). أينما ذهبت سواء ماشيًا على الأقدام أو راكبًا، فلابد وأن تمر بهذه الحانة الصغيرة. فربما تمر نهارًا على دار أبيك فلا تلاحظه، أما هذه الحانة فإنك دائمًا تراها من على بعد مائة فيرست[11]، حتى ولو فى ظلمة الليل الحالك. افسحوا الطريق يا إخوتى فى الرب! خذ! (يضرب بقطعة نقدية من فئة خمس كابييكات على الطاولة). ويطلب كوبًا أصليًا من الماديرا[12] وبسرعة!.

فيديا يا لك من شيطان طائش!.

تيخون لا تلوح بيديك هكذا! فمن الممكن أن تصطدم بشئ!.

كوزما (وهو يشرب) يا لها من أيادٍ ناعمة رقيقة مثل حبات السكر! كدت أفقدها من شدة البرد.

بيفيموفنا كان الخوف يسيطر عليك، يا رجل يا طيب، إذا داهمتك ظلمة الليل فى الطريق. أما الآن الحمد لله، ونعمة منه تجد على جانبى الطريق كثيرا من القرى ومساكن للفلاحين وكذا أماكن تقيك من تقلبات الجو، لكن قبل ذلك لم يكن هناك مَنْ يقوم بالبناء! . كنت تمشى أكثر من مائة فيرست ولا تجد قرى ولا مساكن للفلاحين، ولا حتى تستطيع أن ترى قبضة يدك. فتضطر أن تنام على الأرض ...

كوزما كم من السنوات، أيتها السيدة وأنت تعانين فى هذه الدنيا؟

بيفيموفنا في العقد الثامن، يا عزيزى.

كوزما في العقد الثامن! . هذا يعنى أنك تعديت الثمانين من العمر تقريبًا (وهو ينظر إلى بارتسوف) . إيه السعادة اللى أنا شايفها؟ (وهو يثبت نظره نحو بارتسوف) ـ السيد النبيل!

يتعرف بارتسوف على كوزما، ويتجه إلى ركن الحانة ويجلس على الدكة.

مَنْ أرى؟ سيمنْ سيرجييتش! . هو حضرتك ولاَ لأ؟ وإيه المناسبة اللى جاءت بك فى هذه الحانة؟ هل هذا مكان يليق بحضرتك؟

بارتسوف أسكت!.

ميريك (محدثًا كوزما) هو ده مين؟

كوزما ده الشهيد التعيس (يتوجه بالقرب من الطاولة وهو فى حالة عصبية) وفين؟ فى هذه الحانة، يا للعجب! . وفي ثياب رثة!. سكران! . كم أصابنى الذعر والفزع، يا إخوانى... انزعجت... (وهو يهمس إلى ميريك بصوت خافت) . إنه سيدنا النبيل ... إنه صاحب الأملاك، سيمنْ سيرجييتش، السيد النبيل بارتسوف ... انظر شكله عامل إزاى؟ لمَنْ يشبه الآن؟ يا سلام ... كيف وصل إلى هذه الدرجة من السكر ... هيا صب لى! . (يشرب) . أنا من قريته، من قرية بارتسوفكا، يمكن تكونوا سمعتوا عنها، تبعد عن هنا بمائتى فيرست، تابعة لمركز يرجوفسكى. كان أبوه يمتلك فلاحين أقنان ... واحسرتاه!.

ميريك كان رجلاً غنيًا؟

كوزما كبير ...

ميريك هل ضيع ثروة أبيه؟

كوزما لا ، إنه القدر يا صديقى العزيز ... هذا السيد النبيل كان رجلاً غنيًا كبيرًا ، لا يقرب الخمر ... (متحدثًا لتيخون). غالبًا ما كنت تراه ، وهذا ما كان يحدث ، عندما كان يسافر بالقرب من هذه الحانة إلى المدينة . تصاحبه خيول أرستقراطية ، نشيطة ، ومركبة فاخرة - من الدرجة الأولى! كان يمتلك خمس عربات تجر كل منها ثلاثة جياد ، يا أخى العزيز ... أتذكر من حوالى خمس سنوات مضت ، كان مسافرًا على العبارة ميكيشينسك وبدل من أن يدفع خمس كابيكات ، دفع روبلا ...ولم يطلب منى أو ينتظر باقى المبلغ على الإطلاق ... هذا ما كان يحدث بالضبط .

ميريك يبدو وكأنه فَقَدَ عقله .

كوزما هو لديه عقل ....إلا أن ما حدث له كان بسبب تخاذله! . وكثرة ما لديه من أموال . الأمر الأول ، يا شباب ، بسبب النساء... فقدَ عشق الحبيب الولهان واحدة من الحضر ، وخُيِّل له أنه لا يوجد أجمل منها على ظهر الأرض ... وقد أحبته حبا جما . كانت من طبقة النبلاء. إنها لم تكن إنسانة فاجرة أو ما شابه ذلك ، ولكنها كانت إمرأة هوجاء... كثيرة الحركة! تلف وتدور! تخزر عينيها ، ودائمًا ما تضحك ، وتواصل الضحك طوال الوقت! . لا توجد ثمة أى عقل ... السادة النبلاء يعجبهم هذا النوع ، فهى تعد ذكية في نظرهم، أما من وجهة نظرنا نحن الفلاحون- لابد من أخذها من يدها وطردها من الدار ... حسنًا ... استحوذت على إعجابه – ولتذهب إلى الجحيم حياة الترف، إذ كان يذهب معها هنا وهناك يقضون أطيب الأوقات، إلخ ... فتارة يقضون الليل على ظهر مركب ، وأخرى كانوا يذهبون إلى حفلات عزف البيانو ....

بارتسوف لا تحكِ لهم ، يا كوزما! . لماذا؟ ما لهم وحياتى الشخصية؟

كوزما اعذرنى سيادتك ، يا صاحب السعادة ، لم أقل إلا قليلاً جدًا ... لقد حكيت لهم ، وسأرى ما رأيهم... حكيت لهم قليلاً جدًا ، لأننى انزعجت ... انزعجت للغاية . صب لى . (يشرب)

ميريك (يتحدث همسًا) . وهل هى أحبته؟

كوزما (يتحدث همسًا حتى يصل الصوت تدريجيًا إلى الكلام العادى): كيف لا تحبه؟ السيد النبيل ليس حاجة تافهة... لابد أن تحبه حبذا أنه يمتلك آلاف الديسياتين[13]، أما بالنسبة للفلوس ، فعنده من المال ما لا يحصى ولا يعد... وبالنسبة لشخصيته ، فهو رجل وقور ، صاحب مقام رفيع ولا يقرب الخمر ... وكان أى موظف كبير فى الدولة ، يتعامل معه باحترام ويأخذه من يده، قائلاً له : «كيف حالكم؟ مع السلامة ، على الرحب والسعة» كما أفعل معك الآن ... (يمسك ميريك من يده) . ذات مرة فى المساء وأنا أمر عبر حديقة السيد النبيل... يا لها من حديقة يا أخى ، ياه! . حديقة شاسعة ... فعندما كنت أسير خفية، وجدتهما يجلسان على مقعد صغير ويُقبل كل منهما الآخر (ويمثل صوت القبلة) . وإذا قبلها مرة، قبلته هذه الحية مرتين ... وعندما كان يقبل يدها الصغيرة البيضاء، كانت تقبله هى - بكل حرارة ! . وتلتصق ، وتلتصق به هكذا ، كى تكون ... وتقول له أحبك يا سينيا[14]... ولكن سينيا، كإنسان شيطان ينتقل من مكان إلى آخر ويتباهى بالسعادة ...وبسبب تخاذله كان يعطى هذا روبلاً ، وذاك روبلين ... لدرجة أنه أعطانى نقودًا لشراء حصان. وأسقط ديون الجميع بكل سرور وفرح ...

بارتسوف آه ! . لأى سبب تحكى لهم هذا؟ ليس لدى هذا الشعب أى شفقة ... إنه لشيء مؤلم! .

كوزما أنا أحكى لهم قليلاً جدًا أيها السيد النبيل ! . إنهم يطلبون منى ذلك ! . لماذا لا أحكى لهم قليلاً جدا؟ حسنًا ، لن أحكى حتى لا أغضبك ... لن أحكى فلا يهمنى أمرهم ...

تسمع أجراس عربة البريد

فيديا لا تصرخ هكذا ، بالراحة ...

كوزما أنـا أحكى بالراحة ... لكن هو لم يأمرنـى ... ما باليد حيلة... ليس هناك أكثر من هذا يستحق الحديث عنه. تم عقد القران – وانتهى الأمـر ، خلاص ... ولم يحـدث أكثر من ذلك. صَبَ لكوزما الذى لا يبغى أى منفعة ! (يشـرب) أنا لا أحب إدمـان الخمر! حدث بالضبط بعد عقد القران ، عندما جلس السـادة النبلاء لتناول العشاء ، همت وهربت بسرعة فى عربة الخيول الفاخرة (ثم يتكلم همسًا) وبهدوء انطلقـت إلى المدينة لعشـيقها المحامـى ... آه! أى إمرأة هذه؟ فى تلك اللحظة من الممكن أن تقول ... بأن قتلها شوية !.

ميريك (متأملاً) أيوه ... ما الذى حدث بعد ذلك؟

كوزما هـا هو قد فَقَدَ صوابه ... هكـذا ، كما ترى ، أصبح مدمنًا للخمر لم يقلـع عنه ويقولون إنـه أصبح مثل النحلة الطنانـة، فتارة يكون فى حالة سـكر ، وأخرى مثل النحلة الطنانة... إنه يحبها حتى وقتنا هـذا ... انظر : مـازال يحبها! . ولديه الرغبة فى أن يذهب سيرًا على الأقـدام إلى المدينة كى يلقى نظرة صغـيرة عليها... يلقى نظرة فقط ويعود مرة أخرى ...

تقترب عربة البريد من الحانة ويدخل موزع البريد ويتناول كأساً من الخمر

تيخون لقد باتت عربة البريد تتأخر هذه الأيام .

يدفع موزع البريد الحساب ثم يخرج في صمت ويرحل مع سماع أجراس عربة البريد.

يَسـمع من أحد الأركان صوت يقول: «فى مثل هذا الجو الممطر من السـهل جدًا سـرقة البريـد»

ميريك عشـت على ظهـر الدنيا خمسـة وثلاثين عامًا ولم أسـرق البريد ولو مرة .

وقفة قصيرة

رحلت عربة البريد الآن فى ساعة متأخرة ... الوقت متأخر ...

كوزما أترغب فى أن تعانى من الأشغال الشاقة؟

ميريك الناس يسـرقون ، ولا يعانون . حتى ولو أن هناك أشغالاً شاقة (يقول بحدة) ثم ماذا؟

كوزما أأنت تقصد الكلام عن سيء الحظ هذا؟

ميريك عن من غيره إذن؟

كوزما الأمـر الثانـى ، يا إخوانى الذى كان سـببًا فى إفلاسـه – هو صهره، زوج أختـه ... فقد كلف يومًا زوج أخته بإيداع مبلغ ثلاثين ألفًا فى البنـك ... إلا أن هذا الصهـر كان يحب أن يأخذ فقط ... ومن المعروف أنه كان محتالاً ، ولا يعرف فقط غير مصلحته وكالخنزير لا يهتم أبدًا بأى شـيء آخر... اسـتولى علـى النقود ولم يودعها فـى البنك ... وأعطـاه صاحبنا الثلاثين ألفًا بالتمام والكمـال . (يتنهد) . وبهذا فهـو إنسـان أحمق يعانى مـن الغباء والشـقاء. أمـا الزوجة فأنجبت أطفـالاً غير شـرعيين من عشـيقها المحامى . وصهره اشـترى ضيعة بالقـرب من بالتافا[15] ، وصاحبنا هذا كالغبى يـتردد على الحانات ويشـتكى قائـلاً : «فقدت، يا إخوانى الثقـة! لا أثق الآن فى أحد!» لقـد خارت عزيمته! لكل إنسـان مصيبته الخاصة به ، فهذه الحية تمـص دمـه ، وهل هذا سـبب فى أن يقدم على شـرب الخمـر؟ خذ ، علـى سـبيل المثال فها هـى الزوجة تمكنت من معاشـرة عشـيقها المحامى. معلمها فى وضح النهار ، في الوقت نفسه جعلت الزوج الذى كان مـن علية القوم يبدد أمواله على الخمر، وقد جعل من نفسـه أضحوكة يعانى من الإدمان ... والنحافة ...

تيخون (يتنهد) يا لها من قوة قد أعطاها الله لهذا الرجل .

كوزما صحيـح أن القـوة تكون متعددة ... أليس كذلـك ؟ كم علىَ أن أدفع لك؟ (يدفع الحسـاب) خذ الحسـاب كله ! الوداع ، يا شـباب ! تصبحـوا على خير ، أحلامًا سـعيدة ! حان الوقت أن أسـرع ... كى أقوم بتوصيل الدابة من المستشفى إلى السيدة النبيلة... أغلب الظن انها ملت الانتظار غاضبة ومبلولة من المطر ... (يخرج مسرعًا).

تيخون (بعد وقفة قصيرة) يا هذا! ما اسمك؟ إنسـان تعيس ، تعال واشرب! (يصب له كأسًا).

بارتسوف (يقترب فى تردد من الطاولة و يحتسى الخمر) . يعنى ، الآن ، أنا مدين لك بكأسين .

تيخون أى دين هنا عليك أن تدفعه ؟ اشرب – وخلاص . أطفئ أحزانك بالخمر!

فيديا اشرب ، أيها السيد النبيل ، على حسابى! آه! (يرمى خمس كابييكات على الطاولة) إذا شربت الخمر سوف تموت، وإذا لم تشرب الخمر سوف تموت أيضا. بدون الفودكا يكون كل شيء على ما يرام ، وأما بالفودكا والله ، فإنك تخلو من الهموم ! فعندما تشرب الفودكا سواء يوجد حزن أم لا ... فلا تشعر إلا بالحرارة!

بارتسوف أف! أشعر بحرارة الفودكا !

ميريك تعال هنا! (يأخذ من تيخون الميداليون ويتفحص الصورة) ممم ... بعد عقد القران هربت ... إنت إيه؟

يصدر صوت من ركن الحانة يقول : « صب له كأساً ، يا تيشا[16]، دعه يشرب على حسابى »

ميريك (يرمى بقوة الميداليون على الأرض) يا لها من ملعونة! (يمشى بسرعة إلى مكانه ويرقد واضعا وجهه تجاه الحائط).

تسود الحانة حالة من الهرج

بارتسوف ما هذا ؟ ما الذى حدث؟ (يلتقط الميداليون) كيف تجرؤ على هذا يا حيوان ؟ بأى حق تفعل هذا؟ (باكيا) هل تريد أن أقتلك؟ هه؟ يا فلاح ! يا جاهل!

تيخون لا تغضب أيها السيد النبيل ... فالميداليون لم تتكسر فهى ليست من الزجاج ... اشرب كأسا آخر ، ونم ... (يصب له الخمر) أنا هنا كى أطيعكم وأقوم على خدمتكم. كان لزاما علىَ منذ وقت طويل أن أغلق باب الحانة . (يتجه إلى الباب ويوصد الباب الخارجى)

بارتسوف (يشرب) كيف يجرؤ؟ هذا الأحمق! (ثم يتحدث إلى ميريك) هل تفهم ؟ إنك شخص أحمق ، حمار!

سافا ياشباب ! يا محترمون! عليكم بالتزام الصمت! ما الفائدة من إحداث هذا الضخب ؟ دعوا الناس تنام! .

تيخون هيا ارقدوا ، هيا ارقدوا ...! سيصمتون و يجعلونك تنام ! (يذهب وراء الطاولة ويغلق الصندوق ، الذى به إيراد اليوم) حان الآن وقت النوم!

فيديا حان وقت النوم (يرقد) أحلامًا سعيدة ، يا إخوانى!

ميريك (ينهض ويقوم بترتيب معطف قصير من الفرو على الدكة) تعال ، أيها السيد النبيل ، ونَم هنا .

تيخون وأين ستنام أنت ؟

ميريك فى أى مكان ... حتى ولو على الأرض ... (يفرش التلفيحة على الأرض) بالنسبة لى سيان (يضع بالقرب منه البلطة) أما بالنسبة له ، إذا نام على الأرض فسيتألم ... فقد تعوّد هو على الحرير وعلى القطن ...

تيخون (مخاطبًا بارتسوف) اتفضل ، يا صاحب السعادة ! نَمْ. سوف تتطلع إلى الصورة فيما بعد (يطفئ الشمعة) اتركها الآن!

بارتسوف (وهو يترنح) أين من المفروض أن أنام؟

تيخون نَمْ مكان هذا المتسكع! يبدو ، كما سمعت ، إنه ترك لك المكان!

بارتسوف (يقترب إلى المكان الذى تركه له) أنا ... يبدو أننى سكرت ... ما هذا؟ هل سأنام هنا؟ هه؟

تيخون هنا ، هنا ، لا تخف ، نَمْ .. (يتمدد على طاولة الحانة)

بارتسوف (يرقد للنوم) أنا ... سكران ... كل شيء حولى ... (يفتح الميدااليون) هل عندك شمعة صغيرة ؟

وقفة قصيرة

أنْت يا ماشا مخلوقة رائعة الجمال ... أنْت تتطلعى إلىَ من خلال هذا البرواز الصغير وتضحكين... (يضحك) وأنا سكران! وهل من الممكن الاستهزاء من السكران؟ أنْت تستهزئى بى، عليك أن تحبينى ، حتى ولو كنت سكرانًا، كما يقول تشستليفيتس[17]، أحبى السكران.

فيديا يا لها من رياح شديدة تعوى ! فظيعة !

بارتسوف (يضحك) يا لك من امرأة ... هل من المعقول أن تكونى قد ضليتى الطريق ؟ لا أحد يستطيع العثور عليك !

ميريك إنه يهذى . يستمتع بالنظر إلى الصورة . (يضحك) يا ناس الموقف مُحرج! أيها السادة المتعلمون ، لقد اخترعتم العديد من الآلات والأدوية ، ولم يظهر بعد الإنسان الذكى الذى يبتكر دواءً ضد الجنس الناعم... يبحثون ، وكما لو كانوا قد عالجوا كل الأمراض ، أما هذا الدواء فمن الواضح أن أحداً لم يهتم به ولذا فإن عدد الذين يهلكون من الشعب بسبب النساء أكثر من ضحايا الأمراض... كم أنتم ماكرون ، حريصون على جمع المال ، قساة القلوب ، عديمو البصيرة ... فأم الزوج تهلك زوجة الابن ، وزوجة الابن تسعى فى أن تغش زوجها لو استطاعت ... وهكذا بلا نهاية...

تيخون يبدو أن النساء قد جذبته من شعره توبيخًا ، فها هو شعره ينتفش .

ميريك لست أنا الوحيد ... فمنذ الأزل وإلى أن ينتهى العالم ، سيظل الناس تشكو ... فليس عبثًا وليس سدى أنه فى الحكايات والأغانى أن النساء ترتكب الخطايا ولهذا تساوت بالشيطان... هذه حقيقة حتى ولو نصفهن هكذا ، فهى حقيقة ...

وقفة قصيرة

ها هو السيد النبيل يقع فى حيص بيص ، أما أنا فهل أصبحت متشردًا فاقد العقل بعد أن هجرت أبى وأمى؟

فيديا بسبب النساء؟

ميريك وهكذا أصبحت مثل السيد النبيل ... وسرت كالشيطان، مسلوب العقل تمامًا ، أتظاهر بالسعادة... وكنت أعيش ليل نهار فى نار ، إلى أن جاء الوقت ، وفتحت عينى ... وأدركت بأن هذا لم يكن حبًا، بل كان هذا شيئًا واحدًا فقط وهو الخداع ....

فيديا ماذا فعلت بها ؟

ميريك ليس هذا من شأنك ..

وقفة قصيرة

هل تعتقد بأننى قتلتها؟ لا حول لى ولا قوة ... إنها لا تستحق القتل ، ليست المسألة فى قتلها ، ولكن فى أن تشفق عليها ... تمنيت لها أن تعيش ... وأن تكون ... سعيدة! لم ترعيناى إلا أنتِ فقط ، ليتنى أنساك ، أيتها الحية الغدارة!

طرق على الباب

تيخون : تبًا للشيطان الذى أرسلكم ... مَنْ الذى هناك؟

طرق

مَنْ الطارق ؟ (ينهض ، ويقترب من الباب) مَنْ يطرق الباب؟ امشِ ، المكان مغلق!

(صوت من وراء الباب)

«اسمح لى بالدخول ، يا تيخون ، لو سمحت لقد انكسر زنبرك عربة الخيول! ساعدنى وحياة أبوك! ولو نربطها بحبل صغير حتى نصل بأى طريقة ... »

تيخون من هو المسافر معك ؟

(صوت من وراء الباب)

«زوجة صاحب الأملاك تسافر من المدينة إلى فارسانوفييفا... لم يبق فقط سوى خمس فيرسات ... ساعدنى اعمل معروفا»!

تيخون اذهب وقل للسيدة ، إذا أعطتنى عشرة روبلات ، سيكون هناك الحبل وسيتم إصلاح الزنبرك ...

(صوت من وراء الباب)

إنت اتجننت ولا إيه؟ عشرة روبلات! «يا لك من كلب مسعور! تفرح فى مصائب الناس!»

تيخون وكن فى علمك ... أن لم تَردْ ، مش ضرورى ...

(صوت من وراء الباب)

حسنًا ، انتظر

وقفة قصيرة

السيدة قالت «حسناً»

تيخون أهلاً وسهلاً ! (يفتح الباب ويسمح للحوذى بالدخول) .

IV

نفس الشخصيات بالإضافة إلى الحوذى

الحوذى مرحبًا يا أتباع المذهب الأرثوذكسى! هيا اعطنى الحبل! بسرعة ! يا شباب منْ الذى سيقوم بمساعدتى؟ وسوف يأخذ بقشيشًا!

تيخون ليس هناك حاجة للبقشيش ... دعهم ينامون ، سوف نقوم بإصلاحها نحن الاثنان معًا.

opeikan.com

الحوذى أف ، إننى فى غاية التعب! الدنيا برد ، الطريق موحل بعد المطر، لا يوجد مكان واحد جاف ... هناك شيء آخر ، يا عزيزى ... هل يوجد عندك هنا حجرة صغيرة ، لأن السيدة فى حاجة إلى الدفء لبعض الوقت ؟ وعربة الخيول مالت على جنبها ، ولا يمكن الجلوس فيها بأى حال من الأحوال...

تيخون ليه السيدة فى حاجة إلى غرفة ؟ دعها تتدفأ هنا ، إذا كانت تشعر بالبرد الشديد ... سنجد لها مكانًا . (يقترب من بارتسوف ويقوم بتنظيف مكان بالقرب منه) من فضلك انهض ، من فضلك انهض! سيادتك سوف ترقد حوالى ساعة على الأرض ، حتى تتدفأ السيدة (مخاطبًا بارتسوف) لو سمحت انهض يا صاحب السعادة! اجلس هنا قليلاً (وينهض بارتسوف) ها هو مكانك .

الحوذى يخرج

فيديا ها هى زبونة قد أحضرها لك الشيطان! لن تنام الآن حتى طلوع النهار.

تيخون وأسفاه ليتنى طلبت منها خمسة عشر روبلاً ... وكانت ستعطينى إياها ... (يقف أمام الباب فى ترقب) كونوا أناسًا مهذبين ... ولا تتفوهون بكلمات ...

تدخل ماريا يجورفنا ومن خلفها الحوذى

V

نفس الشخصيات بالإضافة الى ماريا يجورفنا والحوذى

تيخون (وهو ينحنى احترامًا) أهلاً وسهلاً ، يا صاحبة السيادة! دارنا قروى به صراصير فلا تشمئزى !

ماريا يجورفنا إنى لا أرى شيئًا هنا ... إلى أين يجب علىَ أن أذهب؟

تيخون إلى هنا ، يا صاحبة السيادة! (يقودها إلى مكان بالقرب من بارتسوف) إلى هنا ، أهلاً وسهلاً ! (ينفخ فى المكان لإزالة التراب عنه) معذرة ليس عندى حجرة مستقلة ولكن ، سيادتكم ، أرجو ألا ينتابكم أدنى شك : إن هؤلاء الناس طيبون ، ومسالمون ...

ماريا يجورفنا (تجلس بالقرب من بارتسوف) يا له من جو خانق! افتحوا على الأقل الباب!

تيخون سمعًا وطاعة يا سيدتى ! (يجرى ويفتح الباب على مصراعيه)

ميريك الناس ترتجف من البرد ، وهم يفتحون الباب على مصراعيه! (ينهض ويغلق الباب بعنف) مَن هذه التى تعطى الأوامر ؟ (يرقد للنوم) .

تيخون لا تؤاخذينى ، يا صاحبة السيادة ، عندنا واحد أحمق ... ، إنه عابر سبيل غريب الأطوار ... لكن لا تخافى سيادتك، لن يسيء إليكِ ... فقط لا تؤاخذينى ، يا سيدتى ، فأنا لم أوافق على أن آخذ عشرة روبلات ... بل خمسة عشر روبلا ، إذا كان هذا ممكنًا.

ماريا يجورفنا حسنًا ، ولكن على أن يكون بسرعة .

تيخون حالاً ... سوف نقوم بعمل كل شيء في لمح البصر ... (يسحب من وراء الطاولة قطعة من حبل) . لحظة واحدة...

وقفة قصيرة

بارتسوف (يمعن النظر فى ماريا يجورفنا) مارى ... ماشا[18]...

ماريا يجورفنا (ناظرة إلى بارتسوف) فيه إيه تانى؟

بارتسوف مارى ... أأنت مارى؟ من أين جئت؟

عندما تعرفت ماريا يجورفنا على بارتسوف ، أطلقت صيحة عالية ثم وثبتْ فى منتصف الحانة.

(ويسير خلفها قائلاً) مارى ، ها هو أنا ... أنا (يقهقه) زوجتى! مارى! لست أدرى أين أنا؟ يا ناس ، بصيصًا من النور!

ماريا يجورفنا ابتعد من هنا! إنك تكذب، إنه لست أنت! مستحيل! (تخفى وجهها بكلتا يديها) هذا كذب، وغباء!

بارتسوف الصوت، الحركات ... مارى، إنه أنا! الآن سوف أكف.... أنا سكران ... أشعر بدوخة في رأسى.. يا إلهى! مهلاً، مهلاً ... أنا لا أفهم أى شيء. (يصرخ) إنها زوجتى! (يركع تحت قدميها وينتحب)

يتجمع بالقرب من الزوجين لفيف من النزلاء

ماريا يجورفنا ابتعدوا بعيداً! (ثم تخاطب الحوذى) يا دنيس، لابد وأن نرحل! لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر من ذلك!

ميريك (وثب وأخذ يمعن النظر فى وجهها، بنظرة ثاقبة) الصورة! (يمسكها من يدها) يا ناس هى نفسها! آه، إنها زوجة السيد النبيل!

ماريا يجورفنا اغرب بعيدًا عنى، يا فلاح! (تحاول أن تخلّص يدها منه) يا دنيس، مالك، تنظر هكذا ولم تفعل شيئًا؟

دينيس وتيخون يهرعان إليها ويتأبطا ميريك

هذا وكر لصوص! اترك يدى! أنا لا أخاف ...! ابتعد عن هنا!

ميريك انتظرى، سوف أتركها الآن ... بل دعينى أقول لك كلمة واحدة فقط ...كلمة واحدة، كى تفهمى ... مهلاً ... (وهو يلتفت إلى تيخون ودينيس) ارفعوا أيديكم عنى، أيها الأجلاف، لا تمسكانى! لن أتركها، حتى أقول كلامى! مهلاً ... الآن (يضرب جبينه بقبضة يده) لا، الرب لم يعطنى عقلاً! لا أستطيع أن أجد الكلمة التى تتناسب مع هذه الورطة!

ماريا يجورفنا (تخلص يدها منه) اذهب من هنا حالاً! سكارى ... هيا نرحل من هنا يا دينيس! (وهى تريد أن تذهب صوب الباب).

ميريك (يحجب عنها الطريق). هيا، انظرى إليه ولو نظرة واحدة! عامليه بلطف حتى ولو بكلمة حنان واحدة، أستحلفك بالله!

ماريا يجورفنا ابعدوا عنى هذا ... المجنون.

"بارتسوف" مع "ماريا يجورفنا" - زوجته الهاربة - بعد أن تعرّف عليها

ميريك فلتذهبى إلى الجحيم ، أيتها الملعونة ، تبا لك! (يلوح بالبلطة)

يحدث اضطراب شديد . ينتفض الجميع من أماكنهم بالضجيج وصيحات الفزع ويقف سافا ما بين ميريك وماريا ...

ويدفع دينيس بكل قوة ميريك بعيداً وتخرج السيدة النبيلة من الحانة . ثم بعد ذلك يقف الجميع صامتين دون حركة وتستمر وقفة لمدة طويلة .

بارتسوف (يمسك الهواء بيديه) مارى ... أين أنت ، يا مارى!

نازيروفنا يا إلهى ، يا إلهى ... عذبتم روحى أيها القتلة! يا لها من ليلة ملعونة!

ميريك (يخفض يده بالبلطة) قتلتها أم لا؟

تيخون احمد ربنا ، بأن رأسك مازالت سليمة ...

ميريك كان ولابد وأن أقتلها ... (يتمايل ، ويذهب إلى سريره) لم يمهلنى القدر أن أقتلها بالبلطة المسروقة... (ويسقط على فرشه و يجهش بالبكاء) . يا لها من كآبة ! . يا لها من كآبة شريرة تنتابنى! فلتشفقوا علىّ ، يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية !

تسدل الستار

* * * * * *

(الهوامش)

فيديا : صيغة التدليل لاسم فيودر . (المترجم)

الكادريل : رقصة لها أشكال متعددة ظهرت فى القرن الثامن عشر وظلت مشهورة حتى القرن التاسع عشر ويقوم بتنفيذها أربعة أو ثمانية راقصين وراقصات . (المترجم)

البولكا : تعد إحدى أشهر الرقصات التشيكية الشعبية من منتصف القرن التاسع عشر وذاع صيتها فى جميع أنحاء العالم . (المترجم)

فولاجدا : مدينة روسية ، وهى مدرجة ضمن المدن التاريخية فى روسيا ولها قيمة تاريخية كبيرة ، ومن معالمها كاتدرائية صوفيا وكاتدرائية المخلص ودير المخلص وغيرها ... وتبعد عن العاصمة موسكو حوالى ٥٠٠ كيلو متر . (المترجم)

زادونسك : مدينة روسية تقع على نهر الدون وتتمتع بتقاليد روحانية متعلقة بالديانه المسيحية ، ويوجد بها العديد من الكنائس ، والأديرة ، وأيضاً كاتدرائية... ويوجد بها كنيسة تحمل اسم القديس تيخون زادونسكى (١٧٢٤-١٧٨٣) . (المترجم)

كوبان : منطقة بالجزء الشمالى لمنطقة القوقاز . (المترجم)

سافوشكا : اسم التدليل لسافا . (المترجم)

المسلفة : آلة تسوى بها الأرض للزراعة وغيرها . (المترجم)

عيد سباس : هو عيد التجلى عند المسيحيين وأيضاً عيد شعبى يحتفل به السلاف الشرقيون ، فى بداية الخريف وجرى العرف أن يحتفل به بعد ليلة ١٩ أغسطس ، حيث تبدأ برودة الجو ، وقبل هذا التاريخ لا يسمح بأكل التفاح أو الأطباق التى تحتوى على ثمرة التفاح . وفى يوم العيد يتم جنى محصول التفاح ويتم تقديمه للأقارب ولمن لا يمتلك شجر التفاح ، وتقدم فطائر التفاح ، ويقام الاحتفال بعد غروب الشمس بإنشاد الأغانى . (المترجم)

ميداليون : قلادة فى العنق من الذهب يوضع بداخلها صورة للذكرى . (المترجم)

فيرست : وحدة قياس قديم للأطوال يساوى ١٠٦٠ متراً تقريباً . (المترجم)

ماديـرا : نـوع من الخمر ينسـب إلى جزيـرة ماديرا البرتغاليـة فى الجزء الشـمالى للمحيط الأطلنطى الشمال الغربى لإفريقيا . (المترجم)

الديسياتينا : وحدة قديمة للمساحة فى روسيا تعادل 1.09 هكتار . (المترجم)

سينيا : اسم تدليل لسيمن . (المترجم)

بالتافا : مدينة روسية ، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى عام 1991 تقع الآن ضمن جمهورية أوكرانيا ، على ضفاف نهر فورسكلا . (المترجم)

تيشا : اسم التدليل لتيخون . (المترجم)

تشستليفيتس : أحد أبطال مسرحية «الغابة» (1870) للأديب ا. ن. استروفسكى (1828 ـ 1886) .

ماشا : اسم التدليل لماريا . (المترجم)

obeikan.com

О ВРЕДЕ ТАБАКА

(1886)

عن مضار التبغ

(1886)

مشهد – مونولوج فى فصل واحد

ترجمة
نادية سلطان

obeikan.com

obeikan.com

عن مضار التبغ

مشهد – مونولوج

شخصية المسرحية

ماركيل إيفانيتش نيوخين : زوج الست ، صاحبة مدرسة داخلية للبنات .

مشهد يعرض على خشبة مسرح أحد نوادى الأقاليم . يدخل نيوخين بعظمة ، يؤدى التحية با نحناءة ، ويهندم الصديرى الذى يرتديه ويبدأ المونولوج متصنعًا العظمة

السيدات العزيزات ، والسادة الأعزاء! بناءً على طلب من زوجتى ، كان لابد أن ألقى محاضرة عامة هنا بقصد العمل الخيرى . فسعةّ إطلاعى المكتسبة فى الحقيقة متواضعة، ولا يحتاج التنويه إلى ذلك ، وحيث إنّ زوجتى قد وافقت على تحقيق هذا الهدف – فها أنا ذا أقف أمامكم . أنا لست بأستاذ جامعى . كما أننى بعيد كل البعد عن الدرجات العلمية، ولكن لا أستطيع أن أخفى سرًا على أحد منكم ، فأنا....فأنا... (يتردد وبسرعة يلقى نظرة على قطعة ورق صغيرة أخرجها من جيب الصديرى)... فأنا منذ أكثر من ثلاثين عامًا لم أتوقف عن أن أضحى بصحتى من أجل خدمة الصالح العام ، وأناقش بدقة موضوعات ذات خصائص علمية وأحياناً أنشر مقالات علمية فى دورية محلية .... منذ أيام قدمت مقالة متميزة ذات حجم كبير إلى إدارة تحرير إحدى الصحف بعنوان «عن مضار مادة الكافين المنبهة الموجودة فى الشاى والقهوة على جسم الإنسان». وقد اخترت اليوم موضوع محاضرتى عن الضرر الذى يصيب البشرية لاستخدامها التبغ . وبالتأكيد إنه من

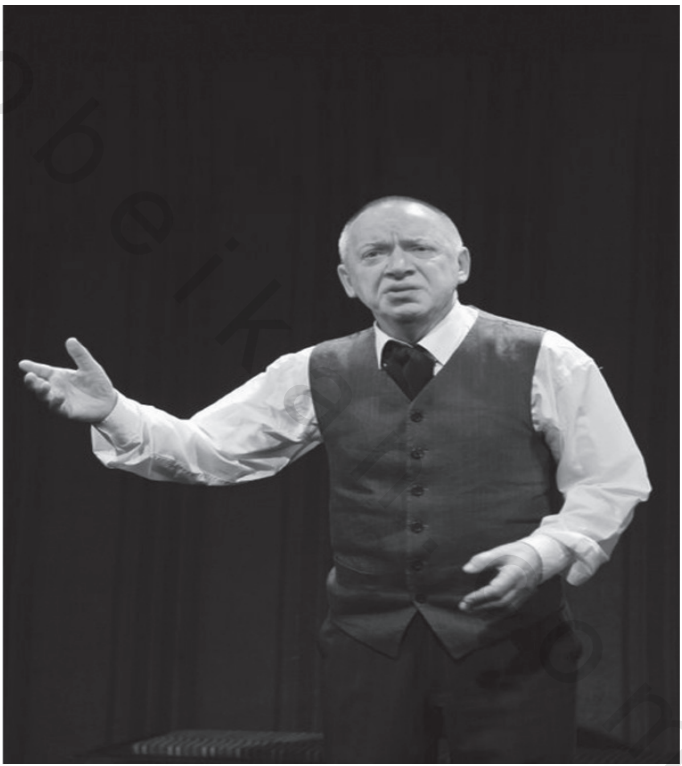

بطل مسرحية "عن مضار التبغ"

الصعب تناول هذا الموضوع المهم بصورة مستفيضة فى محاضرة واحدة، ولكنى سأحاول أن أكون موجزاً ، فسوف أتحدث فقط عن أشياء ذات أهمية ... وكعدوٍ لمبدأ التبسيط ، سأتبع منهجاً علمياً دقيقاً . وأقترح عليكم أيضاً ، أيها السادة المستمعون ، بأنه لابد وأن تشعروا بشكل عميق بأهمية الموضوع ، وعليكم أن تنصتوا إلى محاضرتى الآتية بمزيد من الاهتمام .... فمَنْ منكم لا يتمتع بعقل راجح ، ومَنْ يخاف جفاء ودقة الكلام العلمى ، فبإمكانه ألا يستمع إلى هذه المحاضرة وعليه أن يغادر المكان ... (يقوم بحركة إيمائية تدل على العظمة وهو يهندم الصديرى) . إذن ، سأبدأ...

أرجو الانتباه ... وبخاصة أرجو انتباه السادة الأطباء الحاضرين هنا الذين يمكنهم أن يستمدوا من محاضرتى هذه الكثير من المعلومات المفيدة ؛ لأن التبغ على الرغم من تأثيراته الضارة إلا أنه يُستخدم أيضاً فى الطب . وهذا ما حدث بالضبط . ففى العاشر من شهر فبراير من عام ألف وثمانمائة وواحد وسبعين وُصف لزوجتى على شكل حقنة شرجية (وهو ينظر فى الوريقة) . فالتبغ هو مادة عضوية . يمكن الحصول عليها ، فى اعتقادى ، من نبات Nicotine Tabacum [1] ، الذى ينتمى إلى عائلة الصولانين Solaneae [2] . وهو ينمو فى أمريكا. ويدخل سم النيكوتين المهلك والمريع فى الجزء الرئيسى من تكوين التبغ . فهو كيميائيًا ، فى اعتقادى ، يتكوّن من عشر ذرات من الكربون ، وأربع عشرة ذرة من الهيدروجين و... واثنتين ... من ذرات ... النتروجين ... (ينهج ويمسك بصدره ، وفى اللحظة نفسها تسقط الوريقة من بين يديه) . إنى فى حاجة إلى هواء! (وحتى لا يسقط على الأرض، حافظ على توازنه بيديه وقدميه) . آه! الآن! دعونى ألتقط أنفاسى... الآن... فى هذه اللحظة... أستطيع بقوة الإرادة أن أوقف هذه النوبة... (وهو يضرب صدره بقبضة يده). كفى! أف!

يتوقف لمدة دقيقة ، وأثناء ذلك يمشى على خشبة المسرح وهو ينهج .

منذ فترة طويلة ... وأنا أُعانى من نوبات اختناق ... من داء الربو ... ظهر عندى هذا المرض فى الثالث عشر من سبتمبر عام ألف وثمانمائة وتسعة وستين ، ... فى ذات اليوم الذى

وضعت فيه زوجتى ابنتها السادسة فيرونيكا[3]... فلدى زوجتى تسع بنات بالتمام .... وليس عندها أولاد – حتى ولو ولد واحد ، مما جعل زوجتى فى قمة السعادة ، كما أن وجود أولاد فى مدرسة داخلية للبنات يصبح فى كثير من الأحيان أمرًا غير مريح ... فى هذه المدرسة الداخلية لا يعمل فيها سوى رجل واحد ـ هو أنا .... ومع ذلك فإن العائلات المرموقة والتى تحظى باحترام كبير ائتمنت زوجتى على مستقبل أطفالهن ، وبالنسبة لى أيضًا تستطيع أن تكون مطمئنة عليهن تمامًا ... وعلى أية حال ... ونظرًا لضيق الوقت ، فلن أستطيع أن أخرج عن موضوع المحاضرة ... حسنًا ، أين توقفت . أف! نوبة داء الربو كانت سببًا فى توقفى عن الكلام أثناء حديثى عن نقطة مهمة جدًا . ولكن رب ضارة نافعة . فبالنسبة لى ، وبالنسبة لكم ، وبالنسبة لجميع الحاضرين هنا من السادة الأطباء خاصة، فهذه النوبة من الممكن أن تكون بمثابة درس عملى رائع . ففى هذا العالم الذى نحياه ليس هناك أحداث دون سبب ... فلنبحث إذن سبب النوبة التى حدثت لى اليوم.... (يضع إصبعه على جبينه ويفكر).

حسنًا! فالوسيلة الوحيدة للعلاج من داء الربو هو – الامتناع عن أكل الطعام الدسم والمنبهات ، فقبل مجيئى إلى هنا لإلقاء هذه المحاضرة، فقد سمحت لنفسى بالاسراف إلى حد ما فى الأكل . والجدير بالذكر، عليكم أن تعرفوا ، أن فى هذه المدرسة الداخلية التى تمتلكها زوجتى كان سيتم اليوم تقديم شرائح من البلينى[4] ، ولكن بدلاً من أن تأكل كل فتاة طبقاً لما هو متبع من وجبة ساخنة أثناء وجبة الغداء، سوف تعطى لكل منهن فطيرة واحدة . فأنا زوج الست ، وعلى ما يتراءى لى ، لم أقصد عنوة أن أثنى على هذه الشخصية النبيلة ، ولكن أقسم لكم ، أنه لا يوجد فى أى مكان آخر يقدم فيه طعام بطريقة مفيدة ، وصحية ، ومناسبة مثلما يحدث فى المدرسة التى تمتلكها زوجتى. فأنا شخصياً أستطيع أن أشهد على هذا ، لأن مدرسة زوجتى الداخلية ، والتى يشرفنى بأن أكون رئيسًا إدارياً للشؤون الاقتصادية ، فأنا الذى أشترى المواد الغذائية ، وأراقب الخادمة للتأكد من أعمالها ، وأقدم كل مساء ملف حساب لزوجتى ، وأخيط الكراسات ، كما يجب على أيضًا شراء المبيدات الحشرية ، وأطهر الهواء برش مبيد الحشرات ، وأحصى

المفروشات، وأتابع كيف أن فرشة أسنان واحدة لا تستخدمها أكثر من خمس تلميذات، ومنشفة واحدة لا تستخدمها أكثر من عشر بنات . واليوم دخل فى نطاق واجباتى أن أعطى بكل دقة الطاهية كمية الدقيق والزيت بالقدر الذى يتناسب مع عدد النزيلات فى المدرسة الداخلية. وعلى هذا النحو تم اليوم طهى شرائح فطائر البلينى . ينبغى عليكم أن تعرفوا ، أن شرائح الفطائر هذه خُصصت لنزيلات المدرسة فقط .

أما فيما يتعلق بأفراد اسرة زوجتى فقد تم طهى طبق من الطعام الساخن ، يتكون من المؤخرة الخلفية من لحم البتلو، تلك التى كانت محفوظة فى القبو[5] منذ يوم الجمعة الماضى . فقد قررت أنا وزوجتى ، ضرورة طهى هذا الفخذ من اللحم اليوم ، لأنه إذا ترك إلى الغد فمن الممكن أن يفسد ولن يصلح للأكل. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل إلى أبعد من ذلك . فهلا استمعوا إلى ما حدث فيما بعد! فعندما تم الانتهاء من تجهيز شرائح الفطائر واحصاء عددها ، أرسلت إلىَ زوجتى فى المطبخ تقول: بأن خمس تلميذات قد تم معاقبتهن لسلوكهن السيء وذلك بحرمانهن من شرائح الفطائر .

وبهذه الصورة اتضح بأنه تم طهى خمس فطائر زائدة . ما العمل ؟ ، وما عساى أن أفعل بها؟ وكيف أتصرف بشأنها؟ هل أعطيها لبناتى؟ ولكن زوجتى تمنعهن من أكل العجائن . حسنًا ، ماذا تعتقدون ؟ كيف أتصرف فى هذه الفطائر؟ (يتنهد ويهز رأسه) آه يا قلبى! يا لطيف! قالت زوجتى : «فلتأكل أنت شرائح الفطائر هذه ، يا ماركيشا[6]!». طبعًا! أكلتها ، وقد شربت كأسًا من الفودكا مسبقاً . هذا هو سبب النوبه التى أصابتنى Da ist der Hund begraben[7]، ولكن ، ومع ذلك ... (ينظر إلى ساعته) لقد أفرطنا فى الكلام ، وانحرفنا قليلاً عن لب الموضوع ... سوف نكمل الآن .... هكذا فإن النيكوتين كيميائيًا يتكون من ... من... (يفحص بعصبية فى جيوبه ويبحث بعينه عن الوريقة) إنى أقترح عليكم أن تتذكروا هذه الصيغة.... الصيغة الكيميائية – التى ستكون بمثابة النجم الهادى لكم ... (عندئذ يرى الوريقة على الأرض فيرمى عليها منديلاً، ثم يرفع الوريقة والمنديل معًا.) لقد نسيت أن أخبركم ، أن فى المدرسة الداخلية التى

تمتلكها زوجتى بالإضافة إلى رئاستى للشؤون الاقتصادية ، فقد أُلقىَ على عاتقى تدريس المواد التالية : الرياضة ، والفيزياء ، والكيمياء، والجغرافيا ، والتاريخ ، واستخدام وسائل بصرية للتعلم . بالإضافة إلى هذه العلوم ، ففى مدرسة زوجتى يتم تدريس كل من اللغات: الفرنسية ، والألمانية ، والإنجليزية ، ومادة الديانة المسيحية ، وشغل الإبرة ، والرسم، والموسيقى ، والرقص ، وفن آداب السلوك.

كما ترون أن هذه الدروس مجتمعة تعد أكثر من تلك التى تدرس فى المدارس الثانوية، بالإضافة إلى الاهتمام بالطعام! وإلى قضاء وقت الراحة! والذى يدعو إلى الدهشة، أن كل هذا إزاء أجر زهيد جداً ! فالنزيلات التى تتمتعن بالإقامة الكاملة تدفعن ثلاثمائة روبلاً ، والتى بنصف إقامة – مائتين روبلاً ، والتى بدون إقامة – مائة روبلاً . وفيما يخص مصروفات أنشطة الرقص ، والموسيقى والرسم فتُدفع منفصلة وذلك بالاتفاق مع زوجتى... يا لها من مدرسة داخلية رائعة! وهى تقع على ناصية شارع كاشاتش وعطفة بيتيسابتشى بمنزل الملازم أول ماماشيتشكين . ومَن يرغب فى التحدث مع زوجتى فمن الممكن أن يجدها فى أى وقت فى المنزل ، ويباع أيضاً برنامج المدرسة الداخلية لدى البواب مقابل خمسين كابييكا للنسخة الواحدة . (ينظر فى الوريقة) . ولذا ، فإنى أدعوكم إلى أن تتذكروا هذه الصيغة!. بأن النيكوتين يتكون كيميائياً من عشر ذرات من الكربون ، وأربع عشرة ذرة من الهيدروجين وذرتين من النيتروجين . فلتتفضلوا بتدوين ذلك . فالنيكوتين هو عبارة عن سائل عديم اللون ذى رائحة أمونيومية . فى الحقيقة ، إنه من المهم بالنسبة لنا هو التأثير المباشر للنيكوتين (وهو ينظر إلى علبة النشوق) على المراكز العصبية وعضلات القناة الهضمية . آه يا إلهى! مرة أخرى قمن بملئ علبة النشوق بشيء ما! (يعطس) . آه ، ماذا يجب عمله تجاه تلك الصبايا الصغيرات المزعجات ، الخبيثات ؟. بالأمس وضعن بودرة الزينة فى علبة النشوق ، التى أصبحت اليوم ذات رائحة حادة (يعطس ثم يحك أنفه) . إيه كم هى كريهة ! لا أعرف ماذا يفعل بى هذا المسحوق فى أنفى . برررر!... كم هن مزعجات، مقرفات! فربما ترون فى هذا السلوك قصورًا فى الانضباط الصارم فى مدرسة زوجتى الداخلية . لا ، أيها السادة الأعزاء ، ليس هنا خطأ المدرسة الداخلية . لا! لكن هذا هو

خطأ المجتمع! إنه خطؤكم أنتم! فالأسرة يجب أن تسير جنبًا إلى جنب مع المدرسة، وفى هذه الأثناء ماذا نرى؟ (يعطس). ولكن، ما علينا، سننسى هذا الموضوع! (يعطس). سننساه. فالنيكوتين يؤدى إلى حالة تشبه تشنج بالمعدة والأمعاء، أى ما يسمى بالتيتانوس[8].

وقفة قصيرة

على كل، فأنا ألاحظ الابتسامات تعلو الوجوه. ويبدو، أن ليس كل المستمعين يقدّرون جيداً الأهمية الكبرى لهذه المحاضرة المثيرة للاهتمام. وهناك أيضاً هؤلاء الذين يعتبرون أن الذى يقال من أعلى المنصة والذى يتضمن حقائق تكشف عن علم دقيق من الممكن أن يكون مضحكًا. (يتنهد). طبعاً، أنا لا أجرؤ أن ألومكم... ولكن دائمًا ما أقول لبنات زوجتى هكذا: «بناتى لا تتهكمن على شيء، ولا تتعدين حدود الضحك!» (يعطس). فلدى زوجتى تسع بنات. أكبرهن هى آنا، وتبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً، وأصغرهن فى السابعة عشرة. أيها السادة الأعزاء! إنّ كل السمات الإيجابية الموجودة فى هذا العالم كالجمال والنقاء والنبل، من الممكن أنْ تجدها مجتمعة فى تلك الصبايا العفيفات التسع، فهن مخلوقات طاهرات، لا شائبة عليهن. اعذرونى لهذا الاضطراب، وتلك الرجفة التى فى صوتى: وكما ترون يقف أمامكم أحد أسعد الآباء. (يتنهد). فمن الصعب أن تتزوج الفتيات فى وقتنا هذا. إنه لأمر صعب للغاية! فمن السهل أنْ تجد نقودًا إذا قمت برهن ثلث عقارك عن أن تجد زوجًا ولو لإحدى البنات. (يهز رأسه). آه، يا شباب، يا شباب! وبعنادكم هذا، ونزعاتكم المادية تحرمون أنفسكم من أحلى متعة، ألا وهى متعة الحياة الأسرية! ما أروع هذه الحياة! لقد عشت مع زوجتى ثلاثة وثلاثين عاماً، وأستطيع أن أقول، إنها أفضل سنوات عمرى. لقد مرت هذه السنون وكأنها أسعد لحظات حياتى مرت كلمح البصر. (يبكى). كثيراً ما كنت أكدر صفو حياتها بضعفى! يا لها من مسكينة! على كل حال نلت العقاب باستكانتى لها، ولكن كيف أستطيع أن أعوضها بما تسببت لها من غضب؟

لم تتزوج بنات زوجتى بعد وستبقى هكذا لمدة طويلة . وذلك يرجع لأنهن شديدات الحياء ، وأيضاً بسبب أن الشباب لا يجدون الفرصة لرؤيتهن . فزوجتى لا تستطيع أن تقيم الحفلات ، ولا تستطيع أن تدعو أحداً لتناول الغداء ، ولكن .... أستطيع أن أفشى لكم سراً (يقترب من أضواء المسرح الأمامية ويهمس): ولكن من الممكن أن تروا بناتى فى الأعياد الكبيرة عند الخالة ناتاليا سيميونافنا زافيرتيوخينا ، التى تعانى من داء الصرع ، وهمها الوحيد هو جمع العملات النقدية القديمة . وهناك أيضاً توجد المقبلات . ولكن نظراً لضيق الوقت ، فلن نبتعد عن لب الموضوع . لقد توقفت عند التيتانوس . على أية حال (ينظر إلى الساعة) ، إلى اللقاء فى المرة القادمة! (يهندم الصديرى وبعظمة يغادر المسرح).

*****

obeikan.com

(الهوامش)

1. Nicotine Tabacum : النوكتين : مادة سامة فى التبغ . (المترجم)
2. Solaneae : الصولانين : مادة شبه قلوية سامة . (المترجم)
3. فيرونيكا : اسم زهرة . (المترجم)
4. البلينى : رقائق فطائر من اللبن والدقيق تحمر فى الزبدة وتحشى بالجبن أو المربى والعسل وأشباهه . (المترجم)
5. القبو : مخزن تحت الأرض تنخفض حرارته فى الصيف فيحفظ فيه الجبن والزبد والفواكه وغيرها . (المترجم)
6. ماركيشا : صيغة التدليل لاسم ماركيل . (المترجم)
7. Da ist der Hund begraben : باللغة الألمانية، وتعنى هنا بيت القصيد . (المترجم)
8. التيتانوس (tetanus) : الكزاز : مرض التقلص العضلى المستمر . (المترجم)

obeikan.com

obeikan.com

ЛЕБЕДИНАЯ ПЕСНЯ
(КАЛХАС)
(1887)

أنشودة البجعة
(كالخاس)
(1887)

ترجمة
نادية سلطان

obeikan.com

obeikan.com

أنشودة البجعة

(كالخاس)[1]

مشهد درامى فى فصل واحد

شخصيتا المسرحية

فاسيليى فاسيليتش سفيتلافيدوف : ممثل كوميدى، رجل عجوز يبلغ من العمر ثمانية وستين عامًا

نيكيتا إيفانيتش : ملقن فى المسرح، رجل مسن

يجرى الحدث على خشبة مسرح ريفى، ليلاً، بعد انتهاء المسرحية. مسرح ريفى خال غاية في البساطة. على اليمين ممر به أبواب مرصوصة مدهونة على نحو غير متقن، تؤدى إلى غرف الماكياج والملابس بالمسرح، وعلى اليسار من وسط المسرح تتناثر القمامة. ويوجد وسط خشبة المسرح كرسى مقلوب بلا مسند أو ذراعين. ـ حل الليل. يسود الظلام.

I

(يرتدى سفيتلافيدوف ملابس كالخاس وفى يده شمعة صغيرة، وهو يخرج من غرفة الماكياج بالمسرح، وينفجر من الضحك).

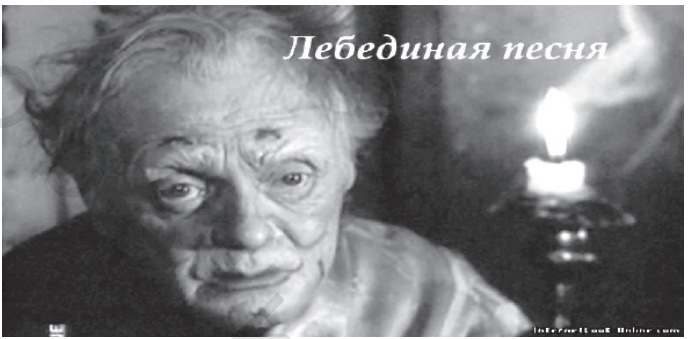

"فاسيلى سفيتلافيدوف" بطل مسرحية "أنشودة البجعة"

"فاسيلى سفيتلافيدوف" مع "نيكيتا إيفانيتش" الملقن

سفيتلافيدوف :

إيه الحكاية ! يا عينى علىَ ، إيه الموضوع ! يبدو أنَ النعاس قد غالبنى فى غرفة الماكياج ! فالمسرحية انتهت منذ فترة طويلة ، وانصرف الجميع من المسرح ، بينما أنا أطلق الشخير بهدوء وعلى وتيرة واحدة . آه ، يبدو أننى أصبحت رجلاً ضعيفًا ، عجوزًا خرفًا ! يا لنى من كلب عجوز! هذا يعنى ، بأننى سكرت، وغالبنى النعاس عندما كنت جالساً ، أثنى على نفسى وأدعى بأننى ذكى! آه يا إلهى .. (ينادى على شخص يدعى يجوركا) يجوركا! يجوركا، إيه اللى جرى للدنيا ! ثم ينادى على ، بتروشكا ، يبدو أن الشيطانين قد ناما . هل أصابكما الخرس كما فى حكايات مئات الشياطين وساحرة واحدة ، عليكما اللعنة! يا يجوركا! (يرفع الكرسى من على الأرض ، ويضعه فى الوضع الصحيح) يجلس عليه ويضع الشمعة على الأرض ولا يسمع شيئًا قط... سوى صدى الصوت ... يجوركا وبتروشكا أخذا منى اليوم بعد جهد جهيد ثلاثة روبلات – لقد اختفيا ولن تجد لهما أثرا ... خرجا، وربما الوغدان قد أغلقا المسرح ... (وهو يهز رأسه) يبدو أننى ثملى! أف! كم بذلت اليوم مجهودًا من أجل حفل التكريم الذى أقيم من أجلى ، فمرة أشرب الخمر وأخرى أحتسى البيرة ، يا إلهى ! كل جسمى يحترق بسبب شرب الخمر ، وكأن حربًا ضروساً قد باتت فى فمى ... وتفوح من فمى رائحة كريهة ... يا له من شيء مقرف ...

فترة صمت

يا لها من حماقة ... يبدو أننى سكرت ، يا لنى من رجل عجوز أحمق ، ولا أعرف سبب السعادة التى تنتابنى ... أف ، يا الهى ! أشعر بوجع أسفل ظهرى، وأن رأسى ينفجر من شدة الألم ، وبقشعريرة فى كل جسمى ، وكأن الحمى قد أصابتنى ، أما فى أعماق نفسى أشعر بظلمة الدنيا وبرودة الجو كما لو كنت فى القبو . فإن كنت قد أفرطت فى صحتى، فيا ليتنى أرحم شيخوختى... يا لك من مهرج يا إيفانيتش ...

فترة صمت

آه من الشيخوخة ... مهما راوغت وتظاهرت بالشجاعة ومهما تغابيت أوعانيت من الحياة فقد بلغت من العمر الثامنة والستين... يا للأ خلاص ، على الدنيا السلام! لن تستطيع العودة إلى الوراء... شربت جل قنينة الخمر ولم يبق فيها سوى القليل جدًا فى قاع الزجاجة ... هكذا - تسير الأمور يا فاسيوشا[2] ... رغبتُ - أم لم أرغب ، فقد حان الوقت لإجراء بروفات على دور الميت . فالموت ليس ببعيد ، يا ربى .... (ثم نظر أمامه) على الرغم من أننى مثلت على خشبة المسرح هذه خمسة وأربعين عامًا إلا أننى الآن أرى المسرح ليلاً ، وكأننى أراه للمرة الأولى ... نعم ، للمرة الأولى ... أليس من العجيب أن يفترسك المسرح كما يفترس الذئب الشاة ... (يقترب من أضواء المسرح الأمامية) لا يرى شيئًا ... حسنًا ، ها هى كمبوشة الملقن التى من الصعب رؤيتها ... وها هى المقصورة الأمامية فى المسرح ، وها هو حامل النوتات ... أما الظلام فيغطى الأشياء الأخرى!

يبدو أننى مكثت هنا طوال الليل ومن الممكن أن أموت من الخوف ... (ثم يمضى إلى حجرة الملابس) ، فى الوقت نفسه يظهر نيكيتا إيفانيتش مرتديًا ثوبًا أبيض اللون يخرج من داخل غرفة الملابس إلى وسط المسرح .

II

سفيتلافيدوف : (عند رؤيته نيكيتا إيفانيتش ، يطلق صرخة ويتراجع إلى الوراء) مَنْ أنت؟ لماذا؟ من أنت؟ (يضرب الأرض بقدميه) مَنْ أنت ؟

نيكيتا إيفانيتش : ها أنا يا سيدى !

سفيتلافيدوف : مَنْ أنت ؟

نيكيتا إيفانيتش : (يقترب منه ببطء) إنه أنا يا سيدى! ... الملقن ، نيكيتا إيفانيتش... يا فاسيليى فاسيليتش إنه أنا يا سيدى! ...

سفيتلافيدوف : (جلس على الكرسى متعبًا من شدة الإعياء يتنفس بصعوبة وبدنه كله يرتعد) يا إلهى! مَنْ هذا؟ أنت ... أنت نيكيتوشكا[3] ... ل ... ما ... لماذا أنت هنا؟

نيكيتا إيفانيتش : أنا أقضى الليل هنا يا سيدى فى حجرة الملابس ... هلاَ أسديت لى معروفاً من فضلك ، ألا تبلغ السيد ألكسى فاميتش ... فأنا لا أجد مكاناً آخر أقضى فيه الليل ، صدقنى والله يا سيدى ...

سفيتلافيدوف : إنه أنت نيكيتوشكا ... آه يا آلهى ! يا ربى ! قاموا بتحيتى ست عشرة مرة! وقدموا لى ثلاث باقات من الزهور هدية ، وأشياء أخرى كثيرة... لشدة إعجابهم بى ، ولكن لم يكن هناك أحد ما يوقظ هذا الرجل العجوز الثمل ويحمله إلى البيت ... أنا أصبحت رجلاً عجوزا ، يا نيكيتوشكا ... وبلغت من العمر ثمانية وستين عامًا... عليلاً ! أصبحت إنسانًا بلا إرادة (يرتمى على ذراع نيكيتوشكا ويجهش بالبكاء) ... لا تذهب عنى وتتركنى يا نيكيتوشكا ... لقد أصبحت عجوزا ضعيفًا ، ينبغى أن أموت ... أنا خائف ، أنا خائف!..

نيكيتا إيفانيتش : (بكل رقة واحترام) الآن عليكم الذهاب إلى المنزل يا سيدى فاسيليى فاسيليتش !

سفيتلافيدوف : لن أذهب إلى المنزل ! ليس لدى منزل ، ـ لا ، لا ، لا !

نيكيتا إيفانيتش : يا ربى! يبدو أنكم نسيتم ، أين تعيشون!

سفيتلافيدوف : لا أريد الذهاب إلى هناك، لا أريد ! كنت أعيش بمفردى... لا يوجد أحد لدىّ هناك يا نيكيتوشكا ، ليس لدى أقارب، ولا توجد هناك حتى زوجة عجوز ، ولا أطفال صغار... فأنا وحيد ولا أنيس لى ... وعندما أموت لن يتذكرنى أحد ... أشعر بالخوف من وحدتى في المنزل... هناك لا تجد مَنْ يواسينى أو يحيطنى بالعناية والرعاية ، أو يضعنى وأنا الثمل فى الفراش ... لمن أنا؟ مَنْ يحتاج إلى؟ مَنْ يحبنى؟ لا أحد يحبنى ، يا نيكيتوشكا!

نيكيتا إيفانيتش : (من خلال الدموع) الجمهور يحبك يا سيدى ، يا فاسيليى فاسيليتش

سفيتلافيدوف : الجمهور انصرف ، والآن هو نائم ، ونسى تمامًا مهرجه ! لا ، لا يحتاج إلى أحد ، ولا أحد يحبنى ... ليس لدى زوجة ، ولا أبناء صغار ...

نيكيتا إيفانيتش : ياه ، ما الذى يحزنك ...

سفيتلافيدوف : أليس أنا بإنسان ، أعيش وأحيا ، وتجرى في عروقى دماء وليس ماء . أنا أنتمى لطبقة النبلاء – أنا نبيل ، يا نيكيتوشكا ، من أصل كريم طيب ، ... وحتى قبل أن أسقط فى هذه الحفرة ، كنت أؤدى الخدمة العسكرية، فى سلاح المدفعية ... كم كنت بطلاً شجاعًا ، فتى جميلاً وسيمًا ، كم كنت رجلاً جسورًا أمينًا ، مقدامًا، مفعمًا بالقوة والحيوية ! يا الله ، كيف ذهب كل هذا يا نيكيتوشكا ، ثم بعد ذلك كم كنت ممثلاً رائعًا، آه ؟ (ينهض ، مستندًا على ذراع الملقن) أين ذهب كل هذا، أين تلك الأيام ؟ يا إلهى! الآن وقد ألقيت نظرة على هذه الحفرة – وتذكرت كل شيء ، كل شيء! هذه الحفرة التهمت من عمرى خمسة وأربعين عامًا، يا لها من حياة كانت ، يا نيكيتوشكا ، أنظر إلى الحفرة الآن وأرى كل شيء بالتفصيل ، مثلما أرى وجهك الآن. كانت أيامًا مفعمة بالإعجاب ، وحيوية الشباب ، والثقة ، والحماسة وحب النساء! وما أدراك ما النساء ، يا نيكيتوشكا!

نيكيتا إيفانيتش : حان وقت ذهابكم إلى الفراش ، يا سيد فاسيليى فاسيليتش.

سفيتلافيدوف :

أذكر عندما بدأت ممثلاً شابًا ، حينها كانت تسيطر علىَ شدة الحماس ، أحبتنى فتاة لحسن أداء دورى الذى كنت ألعبه على خشبة المسرح – كانت فتاة رشيقة، ممشوقة القوام ، تشبه شجرة الحور[4] ، فى ريعان الشباب، بريئة ، طاهرة ، متوهجة ، كفجر ليلة صيف ، فلا تستطيع أيه ظلمة ليل أن تصمد أمام نظرة عينيها الزرقاوتين ، وابتسامتها الساحرة . وإذا كانت أمواج البحر تتحطم عند اصطدامها بالحجر ، فأمام شعرها المتجعد تنكسر الصخرة والجليد ، مهما كانت كتلة الجليد كبيرة . أتذكر الآن عندما وقفت أمامها، مثلما أقف أمامك الآن ... كانت فى هذه المرة رائعة الجمال ، أكثر من أى وقت مضى ، نظرت إلىَ بعينيها هكذا ، لن أنسى هذه النظرة حتى وأنا فى قبرى ... لطيفة ، ناعمة ، رصينة ، فى عز الشباب ! وأنا مليء بالفرح والسرور ، وتغمرنى سعادة حتى الثمالة فجثوت على ركبتى أمامها ، طالبًا السعادة ... (يواصل حديثه بصوت حزين) ولكنها ... تقول لى : اترك المسرح ! إ ـ ع ـ ت ـ ز ـ ل ال ـ مسر ـ ح ! أنت فاهم؟ هى تستطيع أن تحب ممثلاً، ولكن أن تصبح زوجة له – فهذا من المستحيل ! أتذكر، فى ذلك اليوم الذى كنت ألعب دورًا... دورًا حقيرًا، دور البهلوان ... مثلت الدور وأيقنت حقيقة الأمر وتفتحت عيناى ... حينئذ ، أدركت أنه لا يوجد فن مقدس، وأن كل شيء هراء ، وخداع ، وأننى – عبد ، بهلوان ، مهرج ألعوبة فى أيد غريبة عديمة الجدوى! عندئذ فهمت الجمهور! منذ ذلك الحين لا أصدق التصفيق ، ولا باقات الزهور ، ولا الإعجاب... نعم ، يا نيكيتوشكا ! الجمهور يصفق لى ، ويشترى صورتى الفوتوغرافية بروبل ، ولكن أنا عنه غريب ، أنا بالنسبة له – قذارة ، كبنات الهوى! ... إنه يسعى للتعرف علىَ ، من أجل التفاخر ولم يحقر من نفسه بأن يزوجنى أخته ، أو ابنته ... إنى لا أثق فيه! (يسقط جالسًا على الكرسى) إنى لا أثق فيه!

نيكيتا إيفانيتش : وشَك راح لون وجه لون من شدة الانفعال يا فاسيلى فاسيليتش! لقد ألقيت الرعب فى قلبى أنا أيضًا ... عليك أن تذهب إلى البيت ، كن رفيقًا بنفسك !

سفيتلافيدوف : عندئذ قد انقشعت الغمامة عن عيني وأدركت حقيقة الأمر ... لقد كلفتنى هذه الحقيقة ثمناً غالياً ، يا نيكيتوشكا ! بعد هذه الحكاية ... ، وبعد حكاية الفتاة هذه ... كنت أتسكع هنا وهناك ، وأصبحت حياتى بلا معنى ولم أكترث بشيء عن المستقبل ... لعبت أدوار البهلوانات ، والساخرين المتهكمين ، ودور المهرج ، وأفسدت العقول ، ولكن كم كنت فناناً رائعا، موهوباً ! دفنت موهبتى ، وامتهنت لغتى وشوهتها، فقدت شخصيتى ... وقللت من شأنى وهلم جرا ...

إن هذه الحفرة السوداء ابتلعتنى ، واستنزفت كل قواى! لم أشعر بذلك من قبل ، ولكن اليوم فقط ... عندما أفقت ، ألقيت نظرة إلى الوراء ، إلى ثمان وستين عامًا . والآن فقط أدركت مدى تقدمى فى السن ! إنها الشيخوخة! انتهى دورى دون رجعة وولت السنون (استرسل في النحيب) . وولت السنون!

نيكيتا إيفانيتش : فاسيليى فاسيليتش! يا إلهى ! هدئ من روعك يا عزيزى... رحماك يا إلهى! (ينادى بصوت عال) بتروشكا! يجوركا!

سفيتلافيدوف : أى موهبة ، وأى قوة! لا تستطيع أن تتخيل مدى ما يبذل من جهد لإيضاح النطق، يا لها من مشاعر وأحاسيس ، يا لها من رشاقة الوقفة والمشية ، كم من أوتار اهتزت في صدرى هذا! (يضرب صدره بيده) من الممكن أن تختنق!... استمع إلىّ أيها الشيخ ... مهلاً ، دعنى ألتقط أنفاسى ... إليك على سبيل المثال مشهد من "جادونوف"[5]

نادانى طيف جروزنى[6] بصوت عالٍ

من ضريحه يا ديميترى معلناً

إعجابه بالتفاف الشعب حولى

فقد كنت ضحية لباريس والذى حكم علىّ بالهلاك

كفى ، أنا ابن القيصر . كم أشعر بالخجل

أمام شعب بولندا العظيم

آه ، أهذا شيء سيء؟. (بحيوية). مهلا ، إليك هذا المشهد من مسرحية "الملك لير"[7] أنت تعرف عندما تكون السماء سوداء ، والمطر يهطل ، والرعد يدوى ... ، والبرق يومض! - فإن السماء تبدو وكأنها مضاءة ، وهنا..

ثورى يا رياح! واعصفى ، إلى أن تتشقق الوجنات!

وأنت ، يا مياه الأمطار أهطلى بعواصفك ،

واغمرى الأبراج بالماء الغزير ، وأغرقى ديك الرياح[8]!

وأنت أيتها النيران الرمادية السريعة ،

لست سوى نذير سهام رعدية موجعة ،

مدمرة أشجار البللوط ،

وتتطايرى مباشرة فوق رأسى الأشيب! أيها الرعد السماوى ،

كل شيء مذهل ، حطم الطبيعة جمعاء ،

وسوى سطح الكرة الأرضية فورًا

وانثر عن طريق الرياح بذورًا ،

تنبت أناسًا أخساء !

(بلهفة.) وبسرعة أسعفنى بالكلام يا مهرّج! (يضرب الأرض بقدميه) ذكرنى بسرعة بكلمات مهرّج! فليس لدى وقت!

نيكيتا إيفانيتش : (يمثل دور المهرّج). " ماذا بك يا عزيزى؟ إننى أرى ، أليس من الأفضل لك أن تعيش حياة هادئة مستقرة في دارك بدلا من أن تتسكع تحت وابل الأمطار؟ فى الحقيقة ، يا عمى العزيز ، من الأفضل أن تتصالح فى هذه الليلة مع بناتك .

فهذا شيء سيء لكل منكما الصائب والمخطئ !"

سفيتلافيدوف :

زمجرى أيتها العاصفة بكل ما لك من قوة!

واعصفى ودوى واحرقى وانهمرى أيتها الأمطار

فمن ذا الذى يرحمنى؟ فالنار والرياح

والرعد والمطر- ليسوا ببناتى!

أنا لا ألومكن فى فظاعتكن:

ولم أعطكن الحكم إبان حياتى ،

ولم أسمح لنفسى بأن أطلق عليكن بناتى .

لـدى القـوة! والموهبـة ! والقـدرة علـى التمثيل ! وأشـياء أخرى ... وأشـياء أخرى مـن هذا القبيل ... هكذا أسـتطيع أن أسـتعيد أيام الشـباب ... أيكفى (ينفجر ضاحكاً من شـدة السـعادة) من "هاملت"! حسنًا ، سـأبدأ ... ما هذا؟ هيا ... (يمثل دور هاملت)[9] "هيا يا عازفى الناى! أعطونى واحدًا منهـا! (يتحدث إلى نيكيتا إيفانيتـش) يبدو لى ، أنكم تلاحقوننى أكثر مما يجب".

نيكيتا إيفانيتش : " صدقنى ، يا مولاى الأمير ، أن سبب كل ذلك يرجع إلى حبى لك وعملى الدؤوب لجلالة الملك"

سفيتلافيدوف : " أنا لا أفهم بعض ما تقول . أعزف أى قطعة موسيقية على هذا الناى!"

نيكيتا إيفانيتش : " لا أستطيع ، يا مولاى الأمير"

سفيتلافيدوف : " اعمل معروفاً! "

نيكيتا إيفانيتش : " فى الحقيقة ، أنا لا أستطيع ، يا مولاى الأمير! "

سفيتلافيدوف : " أستحلفك بالله ، اعزف! "

نيكيتا إيفانيتش : " لكننى لا أستطيع العزف على آلة الناى ، إطلاقًا "

سفيتلافيدوف : " إن العزف عليه سهل ، مثل الكذب. امسك الناى هكذا ، زم شفتيك هنا ، وضع أصابعك هناك – سوف تبدأ العزف!"

نيكيتا إيفانيتش : " أنا لم أتدرب على ذلك إطلاقاً "

سفيتلافيدوف : " الآن احكم بنفسك: من تحسبنى؟ إنك تود أن تلعب على أوتار أحاسيسى ، فى الوقت الذى لم تستطع فيه أن تعزف شيئًا على هذا الناى . هل أنا أسوأ ، وأقل شأنًا ، من آلة الناى؟ أطلق علىَ ما شئت: أنت تستطيع أن تعذبنى، ولكن لن تستطيع أن تلعب بى (ينفجر ضحكًا ، ويصفق) برافو! أحسنت! برافو ! أية شيخوخة هنا ، فلتذهب هذه الشيخوخة إلى الجحيم أنا لا أحس بالشيخوخة، إنه كلام فارغ ، هذا هراء! ها هى القوة تتدفق فى كل عروقى كالنافورة – هذا هو – الشباب ، النضارة ، الحياة! وحيثما توجد الموهبة ، يا نيكيتوشكا ، فلا مكان للشيخوخة! هل انفعلت للغاية ، يا نيكيتوشكا؟ هل فقدت الصواب؟ على رسلك ، أعطنى فرصة كى

أفيق وأصحى من غشيتى ... رحماك يا ربى! هيا اسمع ، يا لها من رقة ، ويا لها من رهافة الحس ، يا لها من موسيقى مهلا هس... صه!

ليلة أوكرانية هادئة[10].

وسماء صافية ، و نجوم تتلألأ .

والهواء العليل حال دون أن يغالبنى النعاس .

وبالكاد تهتز أوراق شجر الحور الفضية ...
(يسمع خبط الأبواب المفتوحة)

ما هذا؟

نيكيتا إيفانيتش : ربما جاء بتروشكا و يجوركا... إنها الموهبة ، يا فاسيليى فاسيليتش! إنها الموهبة!

سفيتلافيدوف :

(ينادى صوب طرق الأبواب) . تعالا إلى هنا أنتما الفتيان الشجعان! (ثم يتحدث إلى نيكيتا إيفانيتش) فلنذهب ونرتدى الملابس ... فلا مكان هنا للخوف ، كل هذا هراء، ولغو وهذر ... (يضحك بفرح ومرح) ما خطبك ولماذا تبكى؟ لم تسترسل فى البكاء أليس هذا هو الولع بالمسرح؟ آه ، شيء سيء ! هذا أمر غير مقبول! حسنًا، حسنًا ، يا صديقى العجوز ، انظر كيف تبدو! ، ما الذى يدعوك أن تبدو هكذا؟ آه ! يا للعجب ... (يعانقه من خلال الدموع) لا ينبغى أن تبكى ... فحيثما يوجد فن، وموهبة ، فلن يكون هناك خوف ، ولا عزلة ، ولا مرض ، وها قد أشرفنا على الموت ... (يبكى) . ليس أمامنا وقت فالسنون مرت . هل أنا موهوب؟ إننى شخص منهوك القوى، هزيل مثل ليمونة معصورة ، أو مثل لوح هش رقيق من الجليد ، مثل مسمار أصدأ ، أما أنت – جرذ مسرحى عجوز، ملقن ليس إلا ... هيا بنا !

يذهبان

هل أنا ممثل موهوب؟ فى المسرحيات الجادة كنت أصلح فقط لدور أحد أفراد حاشية فورتينبراس ... نعم لقد أصبحت عجوزاً حتى لهذا الدور... نعم ... أتتذكر هذا الدور فى "عطيل"[11] ، يا نيكيتوشكا

وداعاً للسكينة ، وداعاً للطمأنينة !

وداعاً للقوات الحربية والمعارك البطولية

التى تتجسد فيها الشجاعة والعزة

وداعاً لكل شيء!

وداعاً للحصان ذى الصهيل المميَز ، ـ
ولصوت النفير ، وقرع الطبول ،
وصفير البوق ، والراية الملكية ،
وداعاً للمجد والعزة والعظمة ،
والمعارك الضارية للحروب المجيدة .

نيكيتا إيفانيتش : يا لك من موهوب ! يا لك من موهوب!

سفيتلافيدوف :

واليك هذا أيضاً:

فلأخرج من موسكو ! ولن أعود إليها بعد الآن[12]
ولأهرب ، دون أن ألتفت إلى الوراء ، وسأجوب العالم
حيث يبحث المهان عن ملجأ يطمئن إليه
إئتونى بعربة ، بعربة !

يخرج مع نيكيتا إيفانيتش .
تسدل الستار ببطء

****

obeikan.com

(الهوامش)

1. كالخاس : كاهن وعراف ، وهو أحد أفراد جيوش أجامينون أثناء حرب طروادة ـ " شخصية تتنبأ بالمستقبل ، تعرف ما يحدث وما سيحدث وما حدث" كما جاء فى ملحمة الشاعر الإغريقى الأسطورى القديم هوميروس (القرن التاسع والثامن قبل الميلاد) (الإلياذة) . ويعد كالخاس أحد شخصيات الأوبريت "هيلينا الرائعة" التى ألفها الموسيقار الفرنسى المبدع جاك أوفينباخ (1819 – 1880) ـ الذى يعد مؤسسًا لفن الأوبريت الفرنسى الكلاسيكى فى القرن التاسع عشر ، والذى لم يهتم فيها بالأحداث العسكرية ، وإنما تغنى بقصة الحب بين باريس و هيلينا سواء فى الغناء المنفرد أو الثنائى أو الجماعى. (المترجم)
2. فاسيوشا: صيغة التدليل لاسم فاسيلى . (المترجم)
3. نيكيتوشكا: صيغة التدليل لاسم نيكيتا . (المترجم)
4. شجر الحور (باللاتينية –Populus ، وبالإنجليزية Poplar) جنس شجرى من الفصيلة الصفصافية ، تستعمل فى صناعة الأثاث ، يصل ارتفاعها إلى ثلاثين مترًا، تقاوم الرياح وتتحمل حرارة الصيف وبرودة الشتاء . (المترجم)
5. "باريس جادونوف" ملحمة شعرية للشاعر الروسى ا. س. بوشكن (1799 ـ 1837)، كتبها أثناء تواجده فى المنفى فى ميخاليوفسكى ما بين 1824 ـ 1825 . وتم نشرها فى عام 1831 ، وعرضت على المسرح عام 1831. وهذه القصيدة تعبر عن حب واحترام الشاعر للشعب الروسى ، وتحكى ليس بالدرجة الأولى عن القيصر باريس جادونف (1552 –1605) وإنما عن دور الشعب الروسى فى التاريخ ، وآرائه ، وأمانيه ، وحبه وكرهه للسلطة ، ودوره فى الحياة السياسية والاجتماعية.
6. إيفان جروزنى (1530 – 1584) : أحد القياصرة فى روسيا ، يتمتع بمكانة بارزة فى تاريخ روسيا . (المترجم)
7. مسرحية " الملك لير" (1605 ـ 1606) للأديب الإنجليزى وليم شكسبير وقدمت على المسرح عام 1608. (المترجم)
8. ديك الرياح : أداة على شكل ديك لإظهار اتجاه الريح. (المترجم)
9. مسرحية "هاملت" (1603) للأديب الإنجليزى وليم شكسبير . (المترجم)

10. مقطع من قصيدة "بالتافا" (1829) للشاعر الروسى ا. س. بوشكن - التى صور فيها الموقعة الحربية (1709) والتى انتصرت فيها القوات الروسية بقيادة القيصر بطرس الأول على جيوش الملك السويدى كارل الثانى عشر، والتى وضعت نهاية لسيطرة السويد على أوروبا. (المترجم)
11. تراجيديا "عطيل" (1604) للأديب وليم شكسبير. وقد نشرت عام 1622 بعد وفاة الكاتب. (المترجم)
12. قصيدة "البلية من العقل" (1824) للأديب الروسى ألكسندر سيرجييفيتش جريبابيبدف (1795 – 1829). (المترجم)

obeikan.com

obeikan.com

НОЧЬ ПЕРЕД СУДОМ

ليلة المحكمة

ترجمة
نادية سلطان

obeikan.com

obeikan.com

ليلة المحكمة

شخصيات المسرحية

فيودر نيكيتيتش جوسيف : شخص جدير بالاحترام

زينوتشكا[1] : زوجته الشابة .

ألكسيى اليكسييتش زايتسف : عابر سبيل .

يجرى الحدث فى محطة بريد[2] فى إحدى ليالى الشتاء الباردة

محطة البريد . غرفة معتمة ، ذات حوائط يغطيها السخام ، وبها أرائك كبيرة الحجم، المغطاة بالمشمع .

مدفأة من حديد الزهر ذات مدخنة تمتد عبر الغرفة كلها.

زايتسف (يحمل حقيبة سفر) ، وناظر المحطة (يحمل شمعة).

زايتسف : ياسنيور ، عندك هنا رائحة كريهة ! الجو خانق ! تنبعث رائحة الشمع الأحمر النتنة ، وأشياء أخرى أصابها العفن الفظيع ، المكان ملئ بالبق ... تفو ...

obeikan.com

ناظر المحطة : لا يمكن تفادى هذه الرائحة.

زايتسف : أرجو أن توقظنى غدًا فى تمام الساعة السادسة ... وتجهز لى عربة بثلاثة خيول ... كى أستطيع الوصول إلى المدينة فى حوالى الساعة التاسعة .

ناظر المحطة : حسناً ...

زايتسف : كم الساعة الآن؟

ناظر المحطة : الساعة الواحدة والنصف... (يخرج) .

وقفة قصيرة

غير أنَّ لدىَ مَخْرجًا من هذا الوضع المفزع . نعم يوجد مخرج! ففى حالة إذا ألقى المحلفون القبض على ، فسوف ألجأ إلى صديقى القديم ... الصديق الوفىَ الذى يُعتمد عليه! (يُخرج من حقيبة السفر مسدسًا كبيرًا) . ها هو! يا لك من ولد؟ لقد قايضته بكلبين من تشبراكاف . يا له من شئ رائع! حتى إذا انتحرت بإطلاق الرصاص منه على نفسى فسوف أحقق متعة على نحو ما.. (يقول برقة) يا ولد ، هل أنت محشو بالطلقات؟ (بصوت رقيق كما لو كان يجيب عن المسدس) محشوًا بالطلقات... (بصوته الحقيقى) وهل تطلق الرصاصة بصوت عالٍ حتى تسمع فى كل أرجاء ميدان إيفانوفسكى[3] ؟ (ثم يقول بصوت مرهف) فى كل أرجاء ميدان إيفانوفسكى ... (بصوته الحقيقى) آه يا إلهى ، يا لك من ساذج ، ... هيا إلزم الفراش ، ونم ... (يقبل المسدس و يخفيه فى حقيبة السفر) مجرد أن أسمع كلمة « أجل ، أنت مدانٌ » ، فى التو واللحظة سوف أصوب المسدس وأطلق رصاصة مدوية فى جبينى وكفى ... ها أنا أشعر بالبرد الشديد ... برررر! يجب علىَ أن أتدفأ وأحمى جسمى من البرد القارس ... (يقوم ببعض التمرينات الرياضية باليد ويثب بالقرب من المدفأة) برررر!

تطل زينوتشكا من الباب وفى الحال تتوارى

ما هذا؟ يبدو أن شخصًا ما يتطلع من هذا الباب ... ممم ... نعم ، إن أحدًا يتطلع ... هذا يعنى ، أنه يوجد عندى جيران؟ (يتنصت من وراء الباب) لا يترامى إلى سمعى شيء ... هدوء تام ... لابد وأن يكون هنا أشخاص مسافرون آخرون .... سيكون كل شيء على

ما يرام إذا تم إيقاظهم ، ويا حبذا لو كانوا أناسًا محترمين ، فمن الممكن الجلوس معهم ، ونلعب الكوتشينة ... وسألعب وأحقق فوزاً ساحقاً بدون ورقة الآس! إنها لقصة ممتعة ، يا عينى علىَ ... من الأفضل أن تكون امرأة . لا ضير فى أن أعترف ، بأننى لا أحب مغامرات السفر ... فى بعض الأحيان تسافر وتتعرض لمغامرة غرامية ، تلك التى لا يمكن أن تجدها عند قراءة قصص تورجينف[4]... أتذكر ، تمامًا ما حدث بهذه الصورة عندما سافرت ذات مرة عبر محافظة سامارا . توقفت فى محطة بريد ... وكان قد حلَّ الليلُ . تخيلوا على الفور بدأ صرير صرصار الليل فى المدفأة ، حيث كان يسود الهدوء ... وها أنا ذا أجلس إلى المنضدة وأشرب الشاى ... وفجأة أسمع خشخشة خفية ... ويُفتح البابُ و...

زايتسف : (وهو يخلع معطف الفرو الذى يرتديه ، وأيضًا حذاءه ذا الرقبة الطويلة من اللباد) اليوم الدنيا برد! إنى مذهول من شدة البرد... ينتابنى الآن شعور ، كما لو كانوا قد أحاطونى بالثلج ، ثم صبوا علىَ الماء ، وضربونى ضربًا مبرحًا ... يا لها من كتل ركام ثلجية، يا لها من عاصفة ثلجية شديدة مثل الثعبان السام، ويبدو لى إذا مكثت ولو لخمس دقائق فى الهواء – فسوف أهلك. لقد عانيت ، لكن ما سبب ذلك؟ ربما أتحمل هذه المعاناة لو ، سافرت مثلاً لموعد لقاء ، أو للحصول على ميراث ، ولكن فى الواقع فإنى أسافر لملاقاة حتفى... التفكير فى هذا شيء مريع.... غداً فى المدينة سوف تعقد جلسة بمحكمة المقاطعة، وسأنطلق إلى هناك بصفتى متهماً . وسيتم محاكمتى بسبب محاولة الزواج باثنتين ، وبسبب تزوير وصية جدتى التى تقدر بأكثر من ثلاثمائة روبل ، وأيضًا بسبب محاولة إغتيال المسجل الذى يحصى النقاط فى لعبة البلياردو . إن هيئة المحلفين سوف تقبض علىَ – ليس فى هذا أدنى شك . اليوم أنا هنا ، وغداً مساءً سأكون فى السجن ، وخلال نصف عام سأكون فى مجاهل برارى سيبريا الباردة ... برررر !

زينوتشكا : (من خلف الباب) هذا مثير للاستياء! لم أر فى حياتى مثلما أرى هنا! هذه ليست بمحطة ، ولكنها شيء قبيح! (وهى تطل من الباب ، وتصرخ) يا ناظر! يا ناظر المحطة! أين أنت؟

زايتسف : (ينظر ناحيتها) يا لها من فاتنة! (ويقول لها) سيدتى ، ناظر المحطة غير موجود . هذا الجلف ينام الآن . ماذا تريدين؟ هل تحتاجين لخدمة ما؟

زينوتشكا : إنه لشيء فظيع ، فظيع! البق ، ربما البق يرغب فى أن يلتهمنى!

زايتسف : هل هذا صحيح؟ بق؟ آه ... كيف يتجاسر البق على فعل هذا؟

زينوتشكا : (من خلال الدموع) . باختصار ، هذا شيء فظيع! سأرحل الآن! من فضلك أخبر هذا الناظر السافل ، بأن يجهز عربة الخيول! فالبق مص كل دمى!

زايتسف : مسكينة! كم أنت جميلة ، لم أكن أتوقع هذا الجمال ... لا ، هذا مستحيل!

زينوتشكا : (تصرخ) أيها الناظر!

زايتسف : سيدتى ... mademoiselle...

زينوتشكا : أنا لست mademoiselle ، بل سيدة متزوجة ...

زايتسف : وهذا لحسن حظى ... (يتجه نحوها) يا عزيزتى (متحدثًا لها) أود أن أقول إننى لم أتشرف بمعرفتك بعد يا سيدتى ، وبإسم حضرتك وكنية والدك ، وبالتالى سأكون ممتنًا لك ، وكإنسان سوىَ هل يمكن أن أتجرأ وأعرض عليك مساعدتى ... وأستطيع أن أقدم لك يد المساعدة بحل المشكلة التى تعانى منها .

زينوتشكا : كيف؟

زايتسف : إننى اعتدت على شيء رائع – فأنا دائمًا أحمل معى مبيد للحشرات ... اسمحى لى أن أقدمه لك من صميم قلبى ، ومن صميم فؤادى !

زينوتشكا : آه ، من فضلك!

زايتسف : فى هذه الحالة أنا الآن ... لحظة واحدة ... سأحضره لك من حقيبة السفر (يسرع مندفعًا إلى حقيبة السفر يبحث فيها عن مبيد الحشرات) يا لها من عيون جميلة ، وأنف صغيرة ... ستكون مغامرة غرامية رائعة! يساورنى حس داخلي! (يفرك يداه) كم أنا سعيد الحظ ، على الرغم من أنى تورطت بتواجدى فى هذه المحطة ، إلا إنها ستكون مغامرة غرامية ... كم هى جميلة ، إلى درجة أن الشرر يتطاير من عينى ... ها هو المبيد! (يعود نحو الباب) ها هو ينقذك .

تمد زينوتشكا يدها من خلف الباب

لا ، اسمحى لى أن آتى إلى حجرتك وأرش المبيد بنفسى ...

زينوتشكا : لا ، لا ... هل يعقل أن تأتى إلى حجرتى؟

زايتسف : لماذا هذا من المستحيل؟ ليس هناك شيء يدعو للغرابة ، ولا سيما... وأنا طبيب ، فالأطباء وومصففو شعر السيدات لهم حق التدخل فى الحياة الخاصة .

زينوتشكا : لا تخدعنى ، هل أنت فعلاً طبيب؟ بجد؟

زايتسف : نعم ، بشرفى!

زينوتشكا : حسنًا ، وإذا كنت فعلاً طيبًا ... لماذا تكلف نفسك هذا العناء؟ سأرسل لك زوجى ... فيديا! فيديا! حسنًا اصح ، يا أحمق.

صوت جوسيف «ماذا؟»

تعال إلى هنا ، ها هو دكتور لطيف للغاية ، أبدى استعداده لتقديم مبيد للحشرات لنا . (تتوارى).

زايتسف : فيديا! شكرًا ، لم أكن أتوقع! أنا لست بحاجة إلى هذا الفيديا! فليذهب إلى الجحيم إلى الأبد! ما كدت أن أتعرف عليها كما ينبغى ، إلا أن يصاب هذا النجاح بالفشل ، ويقولوا عنى الدكتور ، وإذ فجأة يظهر هذا الفيديا ... وكأنما صب علىَ ماء بارد ... من الأفضل ألا أعطى لهم مبيد الحشرات! كما أنه ليس بها شيء من الجمال ... حتى أن وجهها قبيح ليس فيه شيء يجذب أحدًا إليه وهى بين بين ... وأنا لا أطيق تلك النساء!.

جوسيف : (يرتدى روب دى شمبر ، وطاقية) لى الشرف أن أحييك ، يا دكتور... زوجتى قالت لى فى التو ، إنْ لدى سيادتك مبيد للحشرات .

زايتسف : (فى غلظة) نعم يا سيد !

جوسيف : من فضلك ، هلا قدَّمت لنا معروفًا وتعيرنا قليلاً منه . فأنت خبير فى هذا الأمر ...

زايتسف : تفضل !

جوسيف : نشكرك شكرًا جزيلاً ... ممنون لكم كثيرًا . هل باغتتك العاصفة الثلجية فى الطريق؟

زايتسف : نعم !

جوسيف : نعم يا سيدى ... كانت عاصفة سيئة للغاية ... إلى أين تعتزم السفر؟

زايتسف : إلى المدينة .

جوسيف : ونحن أيضًا سنذهب إلى المدينة . غداً ينتظرنى فى المدينة عمل شاق ، لذا يجب علىّ الآن أن أخلد للنوم ، وبعبارة دارجة، فلا طاقة لى على تحمل ذلك ... فى الواقع عندنا محطات بريد شنيعة وسيئة للغاية . فضلاً عن البق ، والصراصير ، وجميع أنواع العقارب ... لو كانت السلطة فى يدى ، لقدمت جميع نظار المحطات إلى المحاكمة بسبب البق وفقًا للمادة مائة واثنتي عشرة من قانون العقوبات ووفقًا لقوانين المصالحة التى تفرض الغرامات المالية على الماشية الضالة . أشكرك يا دكتور شكرًا جزيلاً ... قل لى لو سمحت أى الأمراض تعالج؟

زايتسف : أعالج أمراض الصدر ... وأيضًا آلام الرأس .

جوسيف : هكذا يا سيدى ... تشرفت بمعرفتك ... (يخرج) .

زايتسف : (بمفرده) . يا له من شخص هزيل الجسم مثل خيال المآتة! لو كان فى مقدورى لغمرته من أعلى رأسه لإخمص قدميه فى مبيد الحشرات . من الممكن أن أفوز ، على ذلك الوغد فى لعب الكوتشينة عشر مرات على التوالى دون أن يربح ولو مرة ! أو من الأفضل لو لعبت معه البلياردو لضربته بعنف دون قصد بعصا البلياردو ، كى تبقى فى ذاكرته طوال الأسبوع ... وبدلاً من أن يكون له أنف سيكون عنده كوز، وأجعل فى كل وجهه كدمات زرقاء ، وفى جبينه أجعل كثيرًا من البثور و.... وفجأة كيف يحق له أن يكون لديه زوجة رائعة الجمال! بأى حق؟ شيء مثير للاستياء! لا ، منتهى السفالة ... ثم يتساءلون لماذا لدىّ نظرة كئيبة عن الحياة ؟ نعم ، وكيف بذلك لا أكون متشائمًا؟

جوسيف : (عند الباب) . أنت ، يا زينوتشكا لا تخجلى ... فهو طبيب! إسأليه بدون تكلف ... لا سبب للخوف ... فإن شيرفيتسوف لم يساعدك فى العلاج ، أما هو فمن الممكن أن يساعدك ... (متحدثًا إلى زايتسف) أرجو المعذرة ، يا دكتور ، على إزعاجك ... قول لى من فضلك ، ما سبب أن زوجتى تعانى من ضيق التنفس فى الصدر؟ دائمًا لديها سعال ، هل تعرف ... لماذا تشعر بضيق التنفس هذا ، بتعبير أدق ، هل تعرف شيئًا عن سبب الجفاف ... ما سبب هذا؟ .

زايتسف : هذا حديث يطول شرحه ... من المستحيل تحديد هذا الآن ...

جوسيف : حسنًا ، ماذا تفعل؟ مازال هناك وقت ... ولا داعى للنوم الآن فبالنسبة لنا فالأمر سيان . فبإمكانك أن تكشف عليها يا عزيزى !

زايتسف : (وهو ينظر جانبًا) ها أنا ذا وقعت فى ورطة!

جوسيف : (وهو ينادى بصوت عالٍ) زينا! آه ، أنت على حق ... (متحدثًا له) إنها تستحى ... خجوله ، مثلى تمامًا ... فالفضيلة شيء جيد ، ولكن لماذا المغالاة فيها؟ فكيف ينبغى أن تستحى من الطبيب، عندما تكون مريضًا ، هذا آخر شيء تفكر فيه ...

زينوتشكا : (تدخل) حقًا ، أنا أشعر بالخجل ...

جوسيف : كفى ، كفى ... (متحدثًا إليه) يجب عليكم أن تضع فى الاعتبار ، أن الدكتور شيرفيتسوف يعالجها . صحيح هو إنسان طيب ، روحه مرحة ، يعرف عمله جيدًا ، ولكن ... من يدرى بما يفعله ؟ أنا لا أثق فيه! لا يرتاح قلبى له ، ولا أبالى! إننى أرى ، يا دكتور ، بأنك لست على استعداد للكشف عليها ، ولكن ، من فضلكم اعمل لى معروفًا!

زايتسف : أنا ... أنا ليس لدى مانع لأقوم بهذا ... لا بأس ... (وهو ينظر جانبًا) الوضع يتطلب هذا!

جوسيف : من فضلك اكشف عليها ، فى الوقت الذى سوف أذهب إلى ناظر المحطة وآمره بتجهيز الساموار لإعداد الشاى ... (يخرج) .

زايتسف : من فضلك اجلسى ، تفضلى ...

يجلسان

كم تبلغين من العمر؟

زينوتشكا : اثنتان وعشرون سنة .

زايتسف : ممم ... سن خطير . من فضلك اسمحى لى بأن أجس النبض ! (يجس النبض) ممم ... حسنًا ، نعم ...

وقفة قصيرة

لماذا تضحكين ؟

زينوتشكا : لا تخدعنى حضرتك ، هل أنت حقًا طبيب ؟

زايتسف : شيء غريب! إنك مازلت تسألين! حضرتك فكرانى مين ! ممم ... النبض لا بأس به ... يا لها من يد صغيرة ، بدينة ... يا نهار أبيض، أنا أحب مغامرات السفر! تسافر ، تسافر وفجأة ترى مثل هذه اليد ... سيادتك تحبين الطب؟

زينوتشكا : نعم .

زايتسف : ما أطيب هذا!عظيم جدًا! اسمحى لى لقياس نبض حضرتك!

زينوتشكا : لكن ، لكن ، لكن ... إلزمْ حدودك!

زايتسف : يا له من صوت ناعم ، وعيون تبدو عليها ملامح الاضطراب ... ابتسامة واحدة منها ممكن أن تفقد صوابك ... هل زوجك غيور؟ جدًا؟ نبضك ... نبضة واحدة فقط وأموت من السعادة!

زينوتشكا : عفوًا يا سيدى المحترم ... عفوًا سيدى المحترم! أنا أرى ، أنك تشتبه فى أمرى .. أنت تخطئ فى هذا ، يا سيدى الكريم! أنا سيدة متزوجة ، وزوجى يشغل وضعًا اجتماعيًا مرموقًا.

زايتسف : أعرف ، أعرف ، لكن هل أنا مخطئ ، بأن أعبر لَكِ عن أنك جميلة؟

زينوتشكا : وأنا ، يا سيدى المحترم ، لن أسمح لك ... لو سمحت اتركنى وشأنى وإلا سأتخذ تدابير أخرى ... يا سيدى الكريم! أنا أحب وأحترم زوجى جدًا ولن أسمح لأى مسافر وقح أن يتحدث معى بابتذال ... سيادتك مخطئ تمامًا ، إذا كنت تعتقد بأننى ... ها هو زوجى قادم ... نعم ، نعم إنه قادم ... لماذا التزمت الصمت ماذا تنتظر ... ؟ لا ... إيه إيه أتريد أن تقبلنى !

زايتسف : يا عزيزتى . (يقبلها) يا طعمة ! يا أمورة ! (يقبلها) .

زينوتشكا : لكن ، لكن ، لكن ...

زايتسف : يا صغيرتى ... (يقبلها) يا دلوعة ... (يرى جوسيف يدخل) سؤال آخر: متى تصابين بنوبة السعال؟ فى أيام الثلاثاء أم فى أيام الخميس؟

زينوتشكا : فى أيام السبت ...

زايتسف : ممم ... اسمحى لى أن أجس نبض حضرتك!

جوسيف : (وهو ينظر جانباً) كما لو كان هناك تبادل للقبلات ... تماماً كما كان يحدث عند الدكتور شيرفيتسوف ... لا بأس فأنا لا أفهم فى الطب ... (متحدثا إلى زوجته) زينوتشكا كونى أكثر جدية ... هكذا مستحيل ... من المستحيل أن تهملى فى صحتك هكذا! عليك أن تصغى بدقة إلى كلام الدكتور . الآن يتقدم الطب بخطى عظيمة إلى الأمام! خطوات عظيمة!

زايتسف : أيوه ، نعم! كما ترى ، يجب أن أقول لسيادتك ... صحة زوجة سيادتك لم تدخل مرحلة الخطر بعد ، ولكن إذا لم تعالج بجدية، فمرضها هذا من الممكن أن ينتهى بصورة سيئة: فمن الممكن أن تصاب بسكته قلبية أو التهاب فى المخ ...

جوسيف : كما ترى ، يا زينوتشكا! كما ترى ! لابد من الاهتمام والعناية بك ... فأنا لم أكن أهتم بك فعلاً .

زايتسف : الآن سأكتب لك العلاج ...
(يقطع من دفتر المحطة قصاصة صغيرة من الورق ، و يجلس ويكتب) Sic transit[5] ... اثنين دراخما[6] ... Glori[7] mundi ... أونصه[8] واحدة ... Aquae destillatae[9] ... واثنتين grain[10] ... وسوف تتناولى هذا الدواء المستحضر فى شكل مسحوق ...، ثلاث مرات فى اليوم ...

جوسيف : بالماء أو بالخمر ؟

زايتسف : بالماء

جوسيف بالماء المغلى ؟

زايتسف نعم ، بالماء المغلى ؟

جوسيف اسمح لى أن أقدّم لكم خالص الشكر والامتنان يا دكتور ...

****

(الهوامش)

1. زينوتشكا: صيغة التدليل لاسم زينائيدا . (المترجم)
2. محطة البريد : يقصد بها آنذاك مكان يقضى فيه المسافرون ، وعابرو السبيل فيه وقتاً لنيل قسط من الراحة وتناول الطعام والشراب وأيضاً للمبيت ، وفى الوقت نفسه يتم إطعام الخيول وتغييرها كما يتم تبادل الخطابات خلال ساعى البريد . (المترجم)
3. ميدان إيفانوفسكى : هو أقدم ميدان فى موسكو، بالقرب من ناقوس القيصر إيفان العظيم ، ذلك الميدان شيد 1329 ، وهنا عادة كان يتجمهر جموع الشعب للتعرف على الأخبار وأيضًا القيام بالصفقات التجارية (حيث لم تكن هناك فى ذلك الوقت صحف أو راديو بعد) . فكان هناك ينادى بأعلى صوت لإعلان الأوامر والمراسيم التى يصدرها القيصر .
4. إيفان سيرجييفيتش تورجينيف (1818 ـ 1883) ـ أديب وروائى ومسرحى روسى مشهور . (المترجم)
5. Sic transit : المجد للّه فى الأعالى – تسبيحة دينية . (المترجم)
6. درخما: وحدة وزن صغيرة عند تحضير الدواء . (المترجم)
7. Gloria mundi : المجد للّه فى الأعالى – تسبيحة دينية . (المترجم)
8. أونصة تساوى 29.8 جرام . (المترجم)
9. Aquae destillatae : ماء مقطر . (المترجم)
10. grain : وحدة وزن . (المترجم)

المحتويات

مقدمـــة (فن الفودوفيل في الأدب الروسي) 5

على الطريق العام 21

عن مضار التبغ 61

أنشودة البجعة (كالخاس) 73

ليلة المحكمة 93

obeikan.com

المترجمين في سطور

د. محمد عباس محمد .

- من مواليد القاهرة.
- أستاذ متفرغ بقسم اللغات السلافية ، ووكيل كلية الألسن الأسبق – جامعة عين شمس.
- له العديد من من المؤلفات ، والترجمات ، والمقالات باللغتين العربية والروسية .

1. «بين روسيا والشرق العربى» ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة. مشاركة.
2. إعادة إصدار ترجمة كتاب «الإسلام بين الحقيقة والإدعاء» ، القاهرة. مشاركة.
3. من معجزات القرآن الكريم ، القاهرة.
4. إيمان رائد الفضاء الأمريكى نيل ارمسترونج بالمعجزات الإلهية ، القاهرة.

د. نادية إمام سلطان

- من مواليد الاسكندرية.
- أستاذ متفرغ ، ورئيس مجلس اللغات السلافية الأسبق ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، ورئيس مجلس قسم اللغة الروسية الأسبق ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة القاهرة ، فرع الفيوم .
- لها العديد من المؤلفات ، والترجمات ، والمقالات باللغتين العربية والروسية:

1. «بين روسيا والشرق العربى» ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة. مشاركة.
2. إعداد كتاب بعنوان «أنطون تشيخوف بعيون مصرية» ، القاهرة.
3. اعادة إصدار ترجمة كتاب «الإسلام بين الحقيقة والادعاء» ، القاهرة . مشاركة.
4. وداعًا فارس الرواية العربية قبل وبعد جائزة نوبل ، القاهرة.

obeikandl.com

دار نشر
أنباء روسيا
Russia News
www.russiannewsar.com

إصدارات

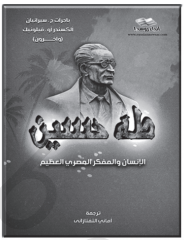

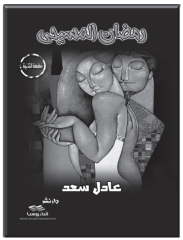

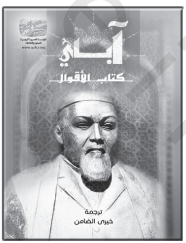

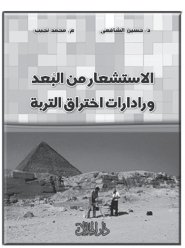

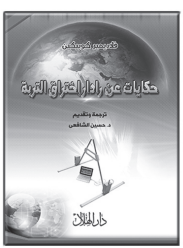

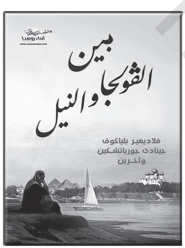

أنباء روسيا
Russia News

www.russiannewsar.com

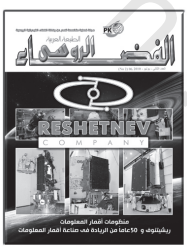

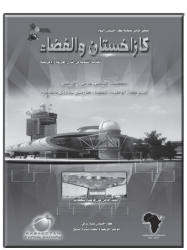

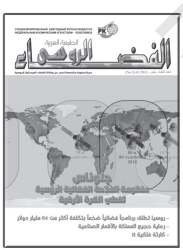

الإصدارات متوفرة لدى

مقار المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم	114 شارع جوزيف تيتو برج رقم 2 ـ النزهة الجديدة ـ القاهرة	01006774027
	مدينة العبور – جمعية أحمد عرابى الزراعية 26/4/ 85 ص.ب . 72	02 24698170 & 8071 (+2)
	4 ميدان بن خلدون مدينة الصحفيين العجوزة الجيزة بجوار معهد القلب وأمام مستشفى أمباتة العام	33028975 – 33043052 01006157783
المركز الروسى للثقافة والعلوم	27 التحرير، الدقى، القاهرة	0233370577
الهيئة العامة المصرية للكتاب	كورنيش النيل – رملة بولاق – القاهرة	25775109 – 25775000 داخلى 200 ـ 01007772711 ـ 01223100145
وكالة الأهرام للتوزيع	مؤسسة الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة	27705019 (202+) 25786622 (202+)
شركة المكتبة الأكاديمية	121 ش التحرير – الدقى الجيزة	01002515013/14 ـ 01125043188 ـ 3362341/2
مكتبة عمر بوك ستور	15 ش طلعت حرب – أعلى مطعم فلفة ـ القاهرة	01003361217 0223960047
مكتبة آفاق للنشر والتوزيع	4 ش محمد مظلوم- تقاطع هدى شعراوى وسط البلد – القاهرة	02 23926114 01003434967
دار الثقافة الجديدة	32 شارع صبرى أبو علم – باب اللوق – القاهرة	23922880
مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر شركة التوزيع المتحدة الجمهورية	إدارة التسويق 21 شارع قصر النيل – 3 شارع طلعت حرب – 111 شارع رمسيس	01150575075 3901617 3923749
مؤسسة دار المعارف	27 شارع عبد الخالق ثروت وسط البلد – القاهرة	23936123
	9 شارع كامل صدقى بالفجالة	25905948
مكتبة مدبولى	6 ميدان طلعت حرب القاهرة	20225756421+
مكتبة دار حراء	33 شارع شريف القاهرة	23928963 01010524112
دار البلسم للنشر والتوزيع	128 شارع قصر النيل – الدقى – الجيزة – جمهورية مصر العربية	37627147 (202+)

obeikan.com

د. حســـين الشافعى

رئيس مجلس إدارة

ورئيس تحرير مجلة «أنباء روسيا»

www.russiannewsar.com

رئيس المؤسسة المصرية الروسية للعلوم والثقافة

www.a-rfcs.org

رقم الإيداع

16647 / 2015

obeikan.com